الجمـــــهورية الجزائـــــرية الـــــديمقراطية الشعـــبية

وزارة التـــــعليم العـــــالي والبـــحث العلـــمي

جـــــامعة محمد بـــوضياف بالمســـيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم: .....

الشيخ عبد الحليم بن سماية وقضايا الإصلاح (1866-1933م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: العالم المعاصر

إعداد الطالب:

- **رضوان هوشات**

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ	**المؤسسة الجامعية**	**الصفة**
أ.د. محمد يعيش	جامعة محمد بوضياف –المسيلة–	رئيسا
أ.د. صالح لميش	جامعة محمد بوضياف – المسيلة–	مشرفا ومقررا
د. مرزقلال إبراهيم	جامعة محمد بوضياف – المسيلة–	ممتحنا

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمان الرحيم

نحمد الله جليل النعم، باعث الهمم، ذي الجود والكرم،

جعل لأهل العلم مزية وأي مزية منزلة رفيعة علية، على أن

وفقنا لإكمال عملنا هذا المتواضع ...

كما يشرفنا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور لمش

صالح الفاضل على التوجيهات والنصائح التي قدمها طيلة

انجازنا لهذا العمل، وإلى كل من ساعدنا ولو بالقليل من

قريب أو بعيد.

والشكر موصول إلى كافة الأساتذة المحترمين الذين درسونا

ونفعونا بعلمهم ونصائحهم.

إهـــداء

اهدي ثمرة عملي إلى الوالدين الكريمين

رحم الله والدي واسكنه فسيح الجنان...

وأطال الله في عمر الوالدة الكريمة...

وإلى أفراد الأسرة الكريمة

وخطيبتي آمال (نرجس)

حليم، نبيل، حمزة، خالد، شوقي وأختي وأبنائها

وكافة أقارب العائلة من أخوال وأعمام...

وإلى زملائي وزميلاتي وفقهم الله في حياتهم...

وإلى كل الأساتذة الذين رافقونا طيلة

فترة تكويننا في الجامعة.

هوشات رضوان

2018/05/05

قائمة المختصرات

1. باللغة العربية:

تر = ترجمة

ج = جزء

د ب = دون بلد نشر

د ن = دون دار نشر

د ت = دون تاريخ النشر

ص = صفحة

ص ص = صفحات

ط = طبعة

ع = العدد

م = ميلادي

مج = مجلد

2. باللغة الفرنسية:

O P U = Office des Publications Universitaires

P = Page

S d = Sans date

مـــــقـــــدمـــــــــة

تعد فترة الوجود الاستعماري على أرض الجزائر، من أهم الفترات المميزة في التاريخ الجزائري عامة، والثقافي خاصة بحيث لم يكتف المستعمر بالتغلغل في أرض الجزائر واحتلالها احتلالا شاملا فحسب بل حاول طمس معالمها الحضارية وأسسها الثقافية والمعنوية، بغرض القضاء على الهوية والشخصية الوطنية الجزائرية.

وقد عاشت الجزائر خلال هذه الفترة ظروف قاسية ، مست جميع الميادين لا سيما منها الميدان الثقافي بحيث حاول المستعمر تهديم المدرسة الجزائرية الأصلية واستبدالها بالمدرسة الفرنسية لأن المدرسة تعدّ أساس كل تقدم في المجتمع ، وإذا كانت كذلك في الأمور العادية، فهي عامل من عوامل التجهيل عندما تصبح إحدى أدوات العمل الاستعماري، فالاستعمار الفرنسي في الجزائر تبنى سياسة تعليمية إزاء بعض الجزائريين، لكن في إطارها التجهيلي انطلاقا من محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي ومحاولة فرض ونشر اللغة والثقافة الفرنسية، وهذا عن طريق الاستيلاء على مؤسساتها التربوية وملاحقة مثقفيها.

وقد نتج عن هذه الوضعية ظهور نوعين متمايزين من المثقفين ساد بينهما صراع لغوي وثقافي، بسبب الاختلاف في المرجعية، ويتمثلان في الكتلة المحافظة والنخبة المفرنسة لسانا وفكرا ، وكلاهما تأثر بالظروف السائدة داخل وخارج الجزائر ، مما أدى إلى ظهور الحركة الوطنية التي اتخذت أشكالا مختلفة للوصول إلى غاية مشتركة ، وكانت نتيجة لجهود بعض العلماء في أواخر القرن 19 م الذين بقوا صامدين من أجل تأدية رسالتهم الإصلاحية بطرق وأساليب بسيطة بغية إصلاح أوضاع المجتمع الجزائري الذي تدهورت أحواله وساءت أوضاعه، ويدخل هذا البحث في إطار محاولة إبراز بداية النشاط الإصلاحي في الجزائر في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الحركة الإصلاحية من خلال

عرض نموذج من مصلحي ورواد هذه الحركة ، وهو الشيخ عبد الحليم ابن سماية ، وذلك بإبراز نشاطه في الميدان الإصلاحي والمجالات التي تطرق إليها وكذا تسليط الضوء على وسائل وأساليب العمل التي انتهجها لتحقيق أهدافه.

أما الإطار الزماني زالمكاني للدراسة نستطيع أن نقسمه إلى إطار عام وخاص:

- **الإطار الخاص:** تشكل سنة 1866 مولد الشيخ عبد الحليم بن سماية، أما سنة 1933 م، شهدت هذه السنة وفاة أحد أبرز صانعي المشهد الاصلاحي في الجزائر وهو الشيخ عبد الحليم بن سماية.

- **الإطار العام:** نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 تمثل فترة ميلاد النهضة الجزائرية وشهدت بروز حراك ثقافي وطرق جديدة في المقاومة الجزائرية وكان ابن سماية أحد صانعيها.

- **الإطار المكاني:** العام (الجزائر المستعمرة)، الخاص (مدينة الجزائر).

إن اختيارنا لهذا الموضوع لم يكن وليد الصدفة وانما نتيجة الرغبة في التعريف بشخصية من الشخصيات الهامة التي استطاعت أن تلعب دورا هاما في مرحلة تعدّ من أحلك المراحل في تاريخ الجزائر المحتلة.

- موضوع الحركة الإصلاحية يبقى بكرا غير مدروس من جميع الجوانب، أو على الأقل غير مدروس دراسة عميقة، وأن تناولت بعض الدراسات الحركة الاصلاحية، فإن نجد معظمها ركزت على مرحلة بروز جمعية العلماء المسلمين، وكأن الجزائر قلت أو عدمت من المفكرين والمصلحين أمثال ابن موهوب، المجاوي، وابن زكري وآخرون، لذلك رأينا أن بحثا حول الحركة الاصلاحية عموما وحول هذه الشخصية بالذات عمل ذو قيمة علمية.

– الرغبة الشخصية في دراسة الشخصيات التاريخية، وذلك نتيجة دراستي لعلم النفس في فرعه السيكولوجية محاولة مني أن أعيش هذه الشخصية الهامة في تاريخ ووطننا.

– احتكاكنا ببعض زملائنا الذين تناولوا في بحوثهم شخصيات زادتنا شغفا لإبراز سيرة وحقيقة هذا العالم الجليل، خاصة وأن الكثير من العلماء والشخصيات التاريخية الذين اشتهروا بعلمهم وجهادهم وإصلاحهم لم ينالوا حظهم الوافر من الدراسة، فكان نصيب ذكراهم الجحود والنسيان في حياتهم أو بعد مماتهم وهذا ما وقفنا عليه أثناء دراستنا لهذه الشخصية.

– الوقوف الفاحص عن أبرز الاستراتيجيات والقنوات التي استعملها ابن سماية للخروج من الوضع الكارثي بعد عدة عقود من الاحتلال.

محاولة منا انتهاج الطريقة العلمية في معالجة مضمون الدراسة ذهبنا إلى تصور إشكالية رئيسية مفادها: **إلى أي مدى يمكن القول أن عبد الحليم بن سماية مثل دور النخبة الجزائرية الوطنية مطلع القرن العشرين، وساهم في نهضة الجزائر الحديثة؟ وهل استحق لقب أوائل المصلحين؟** وتفرع عن هذه الاشكالية عدة تساؤلات فرعية أبرزها:

- ✓ كيف ساهمت العوامل الداخلية والروافد الخارجية في تكوين شخصية عبد الحليم بن سماية؟
- ✓ ما هي المرتكزات والوسائل التي حاول الشيخ من خلالها إيصال أفكاره الإصلاحية؟ إلى أبناء بلده؟ وما صداها وسط السكان؟ وكيف تعاملت معها الإدارة الاستعمارية؟
- ✓ وإلى أي مدى ساهم ابن سماية في المحافظة على المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية في الإطار العربي الإسلامي وإحيائها؟

وبعد البحث في هذا المجال أدركنا أن الدراسات حول هذه الشخصية نادرة جدا، كما يذكر ذلك الكثير من الأساتذة الباحثين ونذكر منهم الجيلالي صاري حيث يقول في مناسبة احتفالية نظمت حول الشيخ من طرف احدى الجمعيات في الجزائر العاصمة: " المصادر

المتعلقة بالعلامة عبد الحليم بن سماية قليلة في المكتبات والجامعات الجزائرية"، وهو حقيقة ما وقفنا عليه، حيث وجدنا له دراسة من طرف الطالبين سبيح سمير وخلفاوي عبد الحق في طور الليسانس لنيل شهادة أستاذ التعليم المتوسط بالمدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة تحت عنوان: " الشيخ عبد الحليم ابن سماية ودوره الاصلاحي (1866 – 1933م)" ، إلى جانب الدراسة لكل من مريم علي تاقوبايت وربيعة تعكرميت في طور الماستر تحت عنوان "نشاط النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين الشيخ عبد الحليم بن سماية انموذجا" عن جامعة خميس مليانة، ولمسنا غياب الدراسات العليا من طور الماجستير أو الدكتوراه في هذه الشخصية، ومن هنا حولنا أن نقدم هذا العنوان وأن نتطرق لبعض الجوانب لم يتم التطرق لها في الدراسات السابقة.

جمعنا في دراستنا بين مناهج نحسبها متكاملة وهي:

– **المنهج الوصفي التاريخي:** لقد اتبعناه في هذا البحث لدراسة فترة من فترات تاريخ وتأريخ لها 1866 – 1933م، وصيفينا من خلاله ما عاشه وعايشه عبد الحليم بن سماية.

– **المنهج التحليلي:** الذي يقوم أساسا على استقراء بعض القضايا والأفكار لعبد الحليم بن سماية لاستخلاص آرائه ومواقفه، وكذلك استقراء كتاباته وتحليلها واستخلاص أهم اجتهاداته الفكرية والعلمية واستظهار أبعادها وتفكيك شفراتها.

اقتصر هذا البحث على ثلاثة فصول، وختمناه بخاتمة وذيلناه بمجموعة من الملاحق.

تناولنا في صفحات الفصل الأول التعريف بشخصية عبد الحليم بن سماية، وذلك بتتبع مراحل حياته بداية من مولده ونسبه، والعائلة المشهورة التي ينتمي إليها والتي كانت معروفة بالثقافة والأصالة، ثم تقصي مراحل دراسته سواء هنا في الجزائر أو في المشرق، وقد حاولنا استخلاص العوامل التي كان لها الأثر في تكوين وصقل شخصيته، سواء القدرات الفطرية التي منحه الله إياها، أو البيئة التي ترعرع فيها وكذلك تأثره بالأوضاع

السائدة في بلده في ظل الاستعمار الفرنسي، و التأثيرات الخارجية كالنهضة المشرقية واحتكاكه بعلماء عصره.

وتطرقنا في الفصل الثاني إلى الوسائل والدعائم التي ساهم من خلالها الشيخ ابن سماية في نشر أفكاره التعليمية والتربوية معتمدا على التعليم في المدارس والمساجد والزوايا لنشر العلم، بالإضافة إلى تآليفه العلمية التي حاول من خلالها إصلاح المجتمع وإفادة المتعلمين، ولا ننسى أنه اعتمد على الصحافة كوسيلة أخرى لنشر أفكاره الإصلاحية عبر الجرائد كجريدة المغرب وكوكب إفريقيا كما كانت النوادي والجمعيات من القنوات التي اعتمدها هي الأخرى في دعم مشروعه الإصلاحي.

في حين خصصنا الفصل الثالث آخر فصول الدراسة في تسليط الضوء على أهم قضايا الإصلاح التي عالجها ابن سماية في مختلف المجالات، منها مجال التربية والتعليم، والعناية بتربية الناشئة، كما دافع عن اللغة العربية، أما المجال الديني فقد ركز فيه على تثبيت العقيدة الإسلامية في نفوس الجزائريين ومحاربة البدع والخرافات، كما عالج القضايا الاجتماعية كمحاربة الآفات الاجتماعية الخطيرة، كما دعا إلى النهوض الاقتصادي من خلال العمل ونبذ الكسل والخمول، بالإضافة إلى معالجته لقضية اجتماعية هامة وهي قضية المرأة فدعا إلى تعليمها باعتبارها أساس بناء الأسرة، وفي المبحث الأخير استعرضنا مواقفه والتي أهمها التجنيد الاجباري وموقف فرنسا من نشاطه ، وهذا ما شرحناه في مختلف مباحث ومطالب الفصل الأخير.

وأنهينا هذه الدراسة بخاتمة توصلنا فيها الى جملة من النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها بعد بذل قصارى جهدنا، وقد ارتأينا ضرورة إضافة وإلحاق الدراسة ببعض الملاحق الوظيفية التوضيحية والحاملة لأهمية كبيرة من القيمة التاريخية ذات العلاقة والدلالة المباشرة لتغطية بعض جوانب الدراسة.

اعتمدنا على مجموعة منوعة من المصادر والمراجع بالإضافة إلى الجرائد والمقالات العلمية والرسائل الجامعية في تحرير فصول دراستنا، وحسب أهميتها نذكر

– **المصادر:** أبرزها مقالاته المنشورة في جريدة المغرب وكوكب إفريقيا مثل "شرف العلم والتعلم" و " القوة الجاذبية"، كما اعتمدنا على مؤلفات أحد تلاميذه وهو عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، بعنوان تاريخ الجزائر العام في جزئه الخامس، وعنوان آخر ضمنه ترجمة لمحمد بن أبي شنب، بالإضافة إلى أحمد التوفيق المدني الذي كان معاصرا له بمؤلفيه "حياة كفاح" و "هذه هي الجزائر" وغيرها من المصادر.

– **المراجع:** كما اعتمدنا على بعض المؤلفات والأبحاث الأكاديمية التي تناولت الفترة المعاصرة لتاريخ الجزائر وهي كثيرة أهمها : محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، دراسات وكتب أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية وتاريخ الجزائري الثقافي بالإضافة إلى بعض المعاجم والموسوعات والمقالات العلمية والرسائل و الأطروحات الجامعية كما قمنا بتوظيف بعض الدراسات الجامعية الجزائرية التي تم إعدادها في السنوات الأخيرة ، والحقيقة أن هذا الحيز لا يكفي لعرض كل المادة التاريخية التي لجأنا إليها ولذلك حاولنا ذكر الأهم وقد استدركنا ذلك في مختلف فصول الدراسة.

لقد واجهتنا في هذه الدراسة جملة من الصعوبات يمكن تلخيصها كالآتي:

– صعوبة الحصول على المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع والتي هي أصلا قليلة إن لم نقل نادرة جدا، لذلك حاولنا الاعتماد على ما تمكنا من الوصول إليه للتعريف بهذه الشخصية.

– صعوبة الوصول إلى مقالات عبد الحليم بن سماية في جريدتي كوكب إفريقيا والمغرب التي صعب علينا قراءتها لأنها مكتوبة بخط غير واضح، وتآكل صفحاتها إلى غاية تحصلنا عليها في القرص المضغوط بمساعدة بعض الدارسين لتاريخ.

– ضيق الوقت المخصص لدراسة الموضوع، ناهيك عن صعوبة التوفيق بين العمل كأستاذ في التربية والتفرغ للبحث.

ومن هنا نرجو أن نكون قد وفقنا في دراسة هذا الموضوع، ورغم اجتهادنا لإخراجه في أبهى حلته وأحسن صورة، إلا أننا على يقين أنه يعتريه النقص، ولذا نحن مستعدون لتقبل النقد الذي يوجه إلينا سواء تعلق بجوهر الموضوع أو استنتاجاته أو غيرها، لأن الكمال لله والعظمة للأنبياء، وعزائنا في ذلك القول المنثور" من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد."

الفصل الأول:

شخصية عبد الحليم بن سماية والعوامل المؤثرة فيها

يُعد الشيخ عبد الحليم بن سماية من كبار علماء النهضة الجزائرية الأوائل الذين أحيوا الجزائر بعلمهم وعملهم، ودعايتهم المخلصة وبخطبهم البليغة ومؤلفاتهم المفيدة من أجل رفع الغبن الثقافي عن أبناء بلدهم، ومن أوائل المصلحين الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ محمد عبده[1] الإصلاحي والداعي إليه، لذلك فهو من المصلحين الذين حملوا فكرة الإصلاح والتجديد قبل حركة ابن باديس، وسنتناول في هذا الفصل الأول التعريف بهذه الشخصية.

المبحث الأول: نسبه ومولده

هو عبد الحليم[2] بن علي بن عبد الرحمن بن حسن خوجة، ومن أوسع علماء عصره علما وثقافتا وينتمي إلى أسرة آل سماية[3]، وهي أسرة كرغلية عريقة بمدينة الجزائر ويرجع أصلها إلى الأتراك ببلدة إزمير[4].

---

[1] محمد عبده: ولد في 1849 م بمصر تعلم وحفظ القرآن، التحق بالأزهر درس الفلسفة والرياضيات والمنطق والتحق بثورة أحمد عرابي سنة 1882 م، وبعد فشلها نفي من مصر إلى لبنان، عمل مع جمال الدين الأفغاني وأصبح رفيقه الدائم وأصدر معه العروة الوثقى. سافر لعدة بلدان منها تونس، صقلية، فرنسا، الجزائر وغيرها، توفي سنة 1905. للمزيد انظر: أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948 ، ص 280.

[2] انظر الملحق رقم 1.

[3] آل سماية: يوجد في العاصمة الجزائرية آنذاك أسرتين مشتركتين في التلقّب بهذا اللقب، إذ أن كل منهما تدعى ابن سماية وكلتاهما من أصل تركي، حيث هما في الواقع متباعدتان كل البعد عن بعضهما البعض لهذا يجب أن نفرق بينهما فأسرة الشيخ عبد الحليم ترجع في نسبها إلى حسن خوجة قاطع السكة بدار الإمارة الجزائرية على عهد الأتراك وهي الأكثر شهرة بلقب ابن سماية لكن لقبه الحقيقي هو" بكير خوجة"، أما لقب بن سماية يعرف به في الوثائق الإدارية إضافة كذلك إلى كامل أفراد عائلته، وهذه الأخيرة تلقب بهذا اللقب من الناحية الإدارية فقط عكس أسرة ابن سماية التي تلقب به في جميع الأحوال. للمزيد انظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 5 ، دار الأمة لنشر والطباعة، الجزائر، 2004 ، ص 268 .

[4] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980 ، ص 178.

لقد شاءت الأقدار أن يولد عبد الحليم بن سماية بعد مرور 36 سنة من احتلال فرنسا للجزائر، حيث صادف تاريخ مولده يوم: 15 جويلية من عام 1866م الموافق لـ 1283هـ، ولد بقلب مدينة سيدي عبد الرحمن الثعالبي التي كانت ولا تزال تحتضن جل العلماء، حيث بها عديد الزوايا القرآنية وأهمها زاوية الولي عبد الرحمان الثعالبي.

فوالد عبد الحليم بن سماية هو علي بن عبد الرحمان بن حسن خوجة، اشتهر بثقافته العربية الإسلامية الواسعة، وتلقى العلم عن الشيخ مصطفى الحرار الجزائري، كما مارس مهنة التدريس في أماكن عدة منها: جامع السفير والجامع الجديد بالعاصمة[1]، واشتغل أيضا بمهنة الصحافة حيث كان يعمل محرر في جريدة المبشر، أما والدته فهي كريمة المحتد ومشهورة باسم خدوجة بنت أمير خوجة وتدعى كذلك خداوج، تنحدر من آل الشيخ مصطفى الكبابطي[2].

المبحث الثاني: نشأته وتكوينه

وهّب الوالد عناية كبيرة لابنه عبد الحليم فربّاه تربية أساسها الدين والخلق الحسن، ولقّنه أصول القراءة والكتابة، حيث أخذه إلى كتاب بحي القصبة، كما كان والده يعمل على تلقينه مبادئ العلوم والتوجيه وبالمقابل كان يصطحبه معه إلى مجلس درسه في الجامع وبالتالي تعلم اللغة العربية والفقه والتوحيد، ولا ننسى مكتبة والده التي كانت غنية بأمهات[3]

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص 178.

[2] مصطفى الكبابطي: شاعر وله اهتمام بالسياسة ومن فقهاء المذهب المالكي وآخر مفتي عن المذهب المالكي في الجزائر خلال العهد العثماني، هذا الأخير الذي أجبرته السلطات الفرنسية على الهجرة نحو الخارج بسبب مواقفه الصارمة التي أهمها رفض وضع يد فرنسا على الأوقاف الجزائرية، لأنه كان يعمل في ذلك الوقت في إدارة الأوقاف، وبالتالي هاجر مع عائلته إلى مصر حيث استقر في مدينة الإسكندرية ، فاستفادت من النهضة التي كانت تعرفها مصر في عهد محمد علي باشا ؛ و بقي هناك حتى وفاته، كما مارس أبوه مهنة الصحافة حيث كان يعمل محرر في جريدة "المبشر"، وهي جريدة تأسست سنة 1847م و كانت مزدوجة اللغة فرنسية عربية. للمزيد انظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ، ط 2 ، دار المغرب الاسلامي ، بيروت ، 1998 ، ص39 .

[3] أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، ط 2، مؤسسة الجزائر للطباعة، الجزائر، 1995 ، ص 246.

الكتب، فعمق تكوينه الذاتي بطريقة الاعتماد على النفس في التحصيل[1]، كما كانت لعبد الحليم فرصة لملازمة شيوخ بلاده مثل الشيخ علي بن الحاج موسى والشيخ محمد القزدالي والشيخ طاهر، فأخذ عن هؤلاء علوم اللغة العربية وآدابها وكذلك علوم الشريعة، كما تلقى الحساب على الشيخ ابن حمودة، وتعلم الربع المجيد في الفلك والتوقيت ومواقف العضد على يد الشيخ أبي القاسم الحفناوي صاحب كتاب "تعريف الخلف برجال السلف[2]".

ولما بلغ سن الواحد والعشرون من عمره تزوج بعائشة[3] بنت " محمد بن مصطفى غياطو" قاضي المالكية بالعاصمة؛ ونظرا للأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر في تلك الفترة فقد امتهن التجارة، فاكترى دكانا لبيع التبغ بحي باب الواد اتجاه الجامع على بتشيني فكان يعول أهله ويرتزق منه ومن ثمن كراء منزله، فالظروف المذكورة توضح مدى تردي المستوى الاقتصادي والثقافي والصعوبات التي كانت تواجهاها الجزائر عامة والتي واجهها عبد الحليم في تحصيل العمل ومتابعة الدراسة بصفة خاصة.

لكن هذا لم يمنع ابن سماية من التحدى وطلب العلم، بل نجده فيما بعد، يدعوا الى تحدي الظروف وطلب العلم وينبذ الكسل والخمول وتقاعس عن طلب العلم، بقي يمارس نشاطه التجاري حتى دعي للتدريس بالمدرسة الرسمية الكائنة بباب الواد في شارع السفراء مع عبد القادر المجاوي، وهي مدرسة خاصة بتعليم اللغة العربية وذلك في 4 ديسمبر 1896م[4].

---

(1) أبو عمران الشيخ وآخرون، المرجع السابق، ص 246.

(2) نفسه، ص 179.

(3) عائشة بنت محمد بن مصطفى غياطو: هي زوجة عبد الحليم بن سماية أنجب منها ولدين سعد الدين ومصطفى وأربع بنات هن: زاهية، سليمة، حنيفة ومليكة. للمزيد انظر: عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص 265.

(4) عبد الرحمان الجيلالي، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم ابن سماية السياسي والثقافي (1866-1933 م)، مجلة الأصالة ، ع 13 ، الجزائر، 1973 ، ص ص 199،200.

تعلم ابن سماية كذلك الفروسية والموسيقى حيث كان يتميز بحبه الكبير للموسيقى وساعده في تعلمها الشيخ فاتح بن براهم الذي كان يعتبر من أشهر العازفين على الآلات الموسيقية وكان ينتمي إلى عائلة بسيطة جدا، وكذلك كان عبد الحليم بن سماية يطالع الجرائد القادمة من المشرق العربي بالإضافة إلى الجرائد الفرنسية، كانت له فرصة في تعلم اللغة العبرية على يد عناصر يهودية مثلما فعل محمد ابن شنب[1] هذا الأخير الذي سبق وأن أخذ عنه علوم البلاغة والمنطق والتوحيد[2]، مما ميز عبد الحليم اهتمامه على غير عادة علماء عصره مقارنة الأديان[3] فكان يقرأ الإنجيل والتوراة ويناظر علمائها.

وقد هاجر مع جده من أمه إلى مصر ودرس هناك في المدارس التي أسسها محمد علي باشا حيث كان هذا يسعى إلى إدخال النظم الغربية في التعليم، وبالتالي تمكن عبد الحليم بن سماية من أخذ مجموعة من العلوم الحديثة كالحساب والجبر والهندسة، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه العلوم علوم طبيعية جاءت من الدول الغربية عكس العلوم التي تلقاها في وطنه الآم الجزائر فكانت اغلبها علوم إسلامية دينية وهذا يعكس لنا مدى ارتباط علماء الجزائر بثقافتهم ودينهم[4].

---

(1) سعد الدين ابن أبي شنب: ولد سنة 1869 م في المدية وتعلم فيها أوليات العلوم بما فيها القرآن الكريم، وكان من تلك الفئة المضطهدة من طرف الاستعمار الفرنسي، وقد تدرج في التعلم فانتقل إلى العاصمة والتحق بالمدرسة النورمالية (مدرسة الأساتذة) وقد عارض سياسة الإدماج ؛ وصادف ذلك بداية التحول في الفلسفة الاستعمارية نحو تعليم الأهالي، واشتغل استاذ فرنسية وتعلم الايطالية في الجزائر وهو أحد تلاميذ الشيخ عبد الحليم ابن سماية وتوفي سنة 1929 م. للمزيد انظر: عبد الرحمان الجيلالي ، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 15، 23.

(2) الجيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850– 1950م)، تر عمر المعرابي، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2010 ، ص 225.

(3) عمار الطالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج 1، مكتبة الشركة الوطنية للتأليف، الجزائر، 1968 ، ص 28.

(4) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003 ، ص 116.

وتلقى العلوم الكيميائية على يد الأستاذ جولي ألكسندر (Joly.A) في المدرسة الشرعية، وفيما يخص الفلك تعلم على يد نجل عارف باشا حاكم بغداد أثناء زيارته إلى الجزائر، وما لوحظ على عبد الحليم بن سماية أنه كان يرتدي الزي العربي الإسلامي ويعتز به أشد الاعتزاز ويفسر ذلك أنه كان حاله في ذلك حال الشيخ ابن أبي شنب والمجاوي[1] وابن الكبابطي، وكان هؤلاء يهدفون إلى المحافظة على العادات والتقاليد وزرعها في نفوس الأجيال الصاعدة الذين تأثر البعض منهم بالثقافة الفرنسية وذلك من خلال تعليمهم في المدارس[2].

كما أنه كان مولع بالفلسفة فقد ألف رسالة فلسفة الإسلام، إذ أنه بذل جهد كبير في تعلّم الفلسفة اليونانية خاصة المقولات العشر المنسوبة إلى آرسطو، فراح يبحث عن ذلك، فهاجر إلى تونس واتصل بشيخ كان صديق لوالده وهو الشيخ محمد بن عيسى الجزائري والد الطيب بن عيسى صاحب جريدة الوزير التونسية وقد قام هذا الشيخ باستقباله أحسن استقبال ووفر له كل ظروف طلب العلم، ولم يعد ابن سماية إلى الجزائر إلا وقد أتم تعليمه وحصل على إجازة من شيخه[3].

كما تعلم كذلك في زاوية الشيخ محمد بن بلقاسم المدعوة بزاوية الشيخ الهامل بوسعادة، وكذلك تعلم في المدرسة التي فرنستها قرارات شانري؛ لذلك يعتبر من المثقفين الذين[4]

---

[1] عبد القادر المجاوي: هو عبد القادر ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي نسبة إلى قبيلة شمالغرب الجزائر، بتلمسان سنة1848 م في أسرة اشتهرت بالذكاء والعلم والدين، وكان والده من الفقهاء والقضاة، ادخله وهناك أتم حفظ القرآن وأكمل دراسته. للمزيد انظر: محمد الصالح الصادق، أعلام من المغرب العربي، ج 1 ، ط 2 ، دار كراكدة، الجزائر، 2008 ، ص 40.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 65.

[3] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص270 .

[4] الهام ميلان ، القضايا التعليمية والتربوية عند النخبة الاصلاحية الجزائرية (1880-1914 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف فكاير عبد القادر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة خميس مليانة، 2016-2017، ص 33.

يجمعون بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية الفرنسية، كما قام بزيارة إلى بلاد الشام التي تعد منبع الفكر الإصلاحي، وفي أثناء هذه الزيارة قام بأداء فريضة الحج[1].

وكان يطالع الكتب والصحف الوافدة من المشرق في مقدمتها جريدة المنار[2] التي كان ينشر فيها الشيخ محمد عبده، وهذه الجريدة لعبت دور كبير في تكوين شخصيته وزرعت في نفسه فكرة الإصلاح والنهوض من أجل تغيير الأوضاع، وهذا الأمر الذي يلاحظ في الدور الذي يقوم به الشيخ الفاضل.

مما سبق يمكن القول أن الشيخ عبد الحليم بن سماية أصبح من رجال العلم والفلسفة والأدب في الجزائر، ومن العلماء القلائل الذين تبنوا فكرة الإصلاح في تلك الحقبة[3].

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في تكوينه

المطلب الأول: بيئته

لا يخفى على انسان أن البيئة تلعب دور مهم في رسم ملامح شخصية أفرادها، كما يقول ابن خلدون الإنسان ابن بيئته، وان كان ابن خلدون يقصد الجانب الطبيعي فأكيد يمكن اسقاط هذه المقولة على مختلف الجوانب الحياة، مثلا الجانب الثقافي والمستوى العلمي للعائلة ومكانتها الاجتماعية يلعبون دور في تكوين الشخصية الفرد الذي يعيش ضمنها، ناهيك عن الأوضاع الثقافية والاقتصادية المزرية التي سيأتي ذكرها لاحقا، التي كان يعيشها الشعب الجزائري وعايشها ابن سماية ابان فترة الاحتلال الفرنسي، غير أن هذه الأوضاع

---

(1) بشير بلاح، موجز تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830– 1889م)، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 344.

(2) جريدة المنار: أسبوعية أسسها رشيد رضا عام 1897 م، تميزت بطابعها الإصلاحي والديني والاجتماعي وأدبي ثم تحولت إلى مجلة. للمزيد انظر: مجلة المنار، مج 12، ط 1، 1909 ، مطبعة المنار، مصر، ص 2.

(3) عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس أنموذجا، ج1 ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005 ، ص 195.

لم تمنع ظهور بعض الشخصيات الوطنية التي كان لها دور إصلاحي كبير، وتمكنت من زرع بذرة الاصلاح في الجزائر ومنهم الشيخ عبد الحليم بن سماية والشيخ عبد القادر المجاوي وغيرهم من المصلحين المعاصرين لهما في تلك الفترة.

لقد ترعرع ابن سماية وسط أسرة كريمة اشتهرت بفضلها في التعليم والدين، أسرة معروفة بالأصالة والعلم والثقافة ساهمت بشكل واضح في تكوين شخصيته، فكان والده الذي سبق ذكره المشهور بالثقافة العربية الإسلامية، والملّم بمختلف العلوم الشرعية والأدبية التي أخذها على يد كبار المشايخ المشهورين في عهده، يجمع في منزله مكتبة من مختلف أصناف العلوم التي استقى منها ابن سماية مختلف المعارف المتداولة في تلك الحقبة[1]، وكذلك أجداده من العلماء الأجلاء[2]، فجده من أمه الشيخ مصطفى الكبابطي سابق الذكر، الذي كان من عباقرة زمانه في العلوم الشرعية واللغوية وغيرها والمعروف عليه مواقفه الشجاعة.

كما لعبت البيئة التي ولد بها ابن سماية وهي سيدي عبد الرحمان الثعالبي بضواحي الجزائر العاصمة التي كانت تحتضن العديد من المساجد والزوايا والكتاب، دور كبير في تشجيعه على طلب العلم وتحصيل مختلف المعارف.

المطلب الثاني: تواصل سياسة القهر الاستعماري

لقد تأثر ابن سماية تأثرا بليغا بالوضع الذي آلت إليه الجزائر في ظل سياسة القهر الاستعماري التي شملت جميع المجالات (الإنسان، الأرض، الثقافة والدين)، فبمجرد[3]

---

(1) أبو عمران الشيخ وآخرون، المرجع السابق، ص 246.

(2) الجيلالي صاري، المرجع السابق، ص 32.

(3) عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962 م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 ، ص 108.

دخول الفرنسيين إلى الجزائر أرادوا الاستحواذ سياسيا عليها وذلك بإصدار مجموعة من القوانين التعسفية التي كانت تهدف من خلالها إلى التمهيد لمشروعها الاستيطاني الذي يقضي بجعل الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، ومن هذه القوانين نجد قانون 22 جويلية 1834م الذي يقرّ بأن الجزائر أرض فرنسية[1].

وفي مطلع عام 1848 م صدر قرار نصّ على أن الجزائر جزء من التراب الفرنسي[2]، كما توالت القوانين والمراسيم الاستثنائية على الأهالي فجاء قانون سيناتوس كونسيلت الذي صدر في 14 جويلية 1865 م، والذي حدد كيفية حصول الجزائريين على الجنسية مقابل التخلي على أحوالهم الشخصية الإسلامية[3]، بالإضافة إلى قرار تجنيس اليهود الجماعي الذي عرف بقانون أدولف كريميو الصادر في 24 أكتوبر 1870 م الذي ينص على منح الجنسية الفرنسية ليهود الجزائريون مقابل التخلي عن أحوالهم الشخصية[4].

ولكن رغم ذلك لم تكتفي فرنسا وعملت على إصدار قانون الأهالي سنة 1874 الذي بدأ العمل به في عام 1881 وهو عبارة عن سلسلة من العقوبات الزجرية التي لا صلة لها

---

(1) عمار هلال، المرجع السابق، ص 110.

(2) يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية (1830-1954)، دار البصائر، الجزائر 2009، ص 35.

(3) Claude collât, les institutions de l'Algérie pendant la période colonial (1962-1830), O P U, ben- Aknoun, Alger, 1987, p11.

(4) Claude martin, histoire de l'Algérie Française, l'Algérie heureuse ،centre Français، Edition et de diffusion la font, S d, p273.

بالقانون تفرض على الجزائريين[1]، حيث جعلهم عبيدا لا يتمتعون بأبسط الحقوق السياسية والدينية[2].

وبذلك نجد أن فرنسا عملت على تحويل الجزائر إلى مخبر للتجارب السياسية الاستعمارية[3]، حيث أن التنظيم القضائي أيضا لم يسلم من سلسلة القوانين الاستثنائية، فقد سلك الاستعمار سياسة قضائية تهدف إلى توقيف وإلغاء العمل بالشريعة الإسلامية، وتغيب دور القضاة المسلمين وتجريدهم من صلاحياتهم[4]، ومنه يمكننا القول أنّ الحياة السياسية التي كانت تعيشها الجزائر مليئة بالمعاناة والتعسف والاضطهاد مما خلق نوع من الفراغ السياسي الذي استغله الاستعمار في فرض الهيمنة على المجتمع الجزائري.

أما فيما يخص الوضع الاقتصادي فإن الاستعمار الفرنسي لم يتوقف عند هذا الحد، بل واصل سياسته الجائرة اتجاه الجزائريين بسلب ومصادرة أخصب أراضيهم الفلاحية عنوة[5]، وتفنن المعمرون في السيطرة على أملاك الجزائريين بشتى الطرق وبمختلف الوسائل، وقد سنت في هذا الإطار عدة قوانين[6] مثل القوانين الممتدة ما بين (1855-1861م) التي صادرت 61 ألف هكتار من الأراضي وزعت على بعض قادة الحملة

---

(1) قمير قوادرية، الجمعيات والنوادي الثقافية ودورها في الحركة الوطنية (1900-1939 م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إشراف زكرياء بن صغير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015، ص 17.

(2) عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ (الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962 م)، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 262.

(3) عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010 ، ص 77.

(4) الحواس الوناس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1914-1927 م)، دار الشطايبي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 17.

(5) عمار عمورة، نفسه، ص 252.

(6) أندري بريتان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 ، ص 396.

الفرنسية[1]، وصولا إلى قانون فارني 26 جويلية 1873 م، الصادر من مجلس النواب الفرنسي حيث اعتبرت كل الأملاك العقارية خاضعة للقانون الفرنسي، وبموجب ذلك لم يعد من حق الملاك الجزائريين المحافظة على الأملاك الجماعية، واستغلت السلطات الفرنسية هذه النقطة بالذات وحرضت الملاك الصغار والورثة على المطالبة بحقوقهم ومساعدتهم للتغلب على خصومهم في حالة إذا مال الأمر للمحاكم[2]، وذلك من أجل تفتيت هذه الأراضي ومن ثم إجبارهم على بيعها[3].

وبناء على قانون 30 ديسمبر 1887 م أصبحت عملية انتقال ملكية الأراضي من الأوروبيين إلى الجزائريين عن طريق الشراء محظورة حتى ولو سمحت إمكانياتهم بذلك، وهو ما جعل المستوطنين الأوروبيين يحصلون في أقل من 30 عاما (1851-1923 م) على 6 مليون هكتار[4].

مما سبق أصبحت الجزائر ملكية لهم يفعلون فيها ما يشاءون، وأدت هذه الإجراءات التعسفية إلى الإفلاس وتدهور الحياة الاقتصادية، فأصبح الشعب الجزائري كما وصفه فرحات عباس: "يتخبط وسط مجاعة يعجز القلم عن وصفها[5]".

---

[1] عمار عمورة، المرجع السابق، ص 253.

[2] عبد المجيد بن عدة، مظاهر الإصلاح الدين والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود رواد المصلحين، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف جمال قنان، قسم التاريخ والآثار كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 1991-1992، ص 5.

[3] حميدة دريادي، الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة (1900-1914 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد المجيد بن عدة، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2011-2012، ص 17.

[4] شارل روبير آجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ط 2، تر عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992 ، ص 88.

[5] عمار عمورة، نفسه، ص 253.

وعلى الصعيد الاجتماعي، فإن عزم فرنسا الرامي إلى أن تجعل من وطننا مستعمرة آهلة بأبناء جلدتها، وقلب بلاد العربية إلى مقاطعة يسري فيها الدم الفرنسي، فعملت طيلة سبعين سنة على نهب الجزائريين وسلبهم، ومطاردتهم وتشريدهم لتعمير القطر الجزائري بالإيطاليين والإسبانيين ونجم عن هذه العملية الإجرامية خلق نظام اجتماعي مسيخ، فتح المجال لعنصرية مزمنة، زادتها فظاعة وازدهار قوانين استثنائية سنها المستعمر لفائدة أبنائها، وعلى حساب الشعب الجزائري[1].

كما ظل الفلاحون طويلا يعملون في الأملاك الفرنسية كخماسين أو إلى عمال أجراء في مزارع المستوطنين وأصبحوا أمام تطور المكينة عرضة للطرد والبطالة، وأصبحت مئات الألوف من العائلات الجزائرية تستغل الأراضي الغير الخصبة هذا ما جعلها تعيش في حالات مأساوية، حتى وإن كانت هناك أراضي جد خصبة فإن شدة التمركز السكاني فيها كما هو الحال في بلاد القبائل لا يكفي لسد حاجيات كل السكان من الإنتاج الغذائي[2] حيث شهدت الجزائر سلسلة من المجاعات الجزئية في عام 1893 و1897 و1920 م وتلتها أوبئة قاتلة من الكوليرا والتيفوس الناتجة عن سوء التغذية[3].

ولم يسلم الوضع الديني من يد وبطش الغزو الفرنسي للجزائر الذي كان في بعض وجوهه امتدادا للحملات الصليبية على البلاد الإسلامية، فلقد أوضحت لنا فضائح قادة الحملة الفرنسية على الجزائر منذ السنوات الأولى للاحتلال، بأن هؤلاء الدخلاء إنما جاءوا ليحولوا أرضا عربية إسلامية إلى مستعمرة لاتينية مسيحية، وقد أوضح الكاردينال لافيجري[4]

---

[1] عباس فرحات، ليل الاستعمار، ج 1، تر أبو بكر رحال، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005 ، ص 45.

[2] عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص 17.

[3] شارل روبير آجيرون، المرجع السابق، ص 101.

[4] محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية من 1903 إلى 1931 م، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 59.

خطة فرنسا البعيدة المدى بقوله: "علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا للدولة المسيحية تضاء أرجاؤها بنور الإنجيل[1].

كما أنهم نزلوا بمعاولهم الحاقدة على المقدسات الإسلامية من مساجد وزوايا ومكتبات إسلامية ومعاهد دينية، فحولت بعضها إلى كنائس، وكاتدرائيات مثل جامع كتشاوة في مدينة الجزائر، والبعض الآخر هدمته عن آخره بدعوى فتح شارع جديد أو حولته إلى ثكنة عسكرية ومحلات تجارية أو إدارية[2].

وهو ما يؤكده أحد أكابر موظفي الولاية العامة الجزائرية "برك" في مقال نشر بعد موته قائلا[3]: "...لقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الإسلامي إلى درجة أننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الإمام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس، ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي رقي إلا إذا ما أظهر للإدارة الفرنسية إخلاصا منقطع النظير...".

وقد ترتب عن هذه السياسة الاستعمارية ضد الإسلام تفشي البدع والخرافات التي ألصقت وربطت بالدين الإسلامي زورا، خاصة من بعض شيوخ الزوايا الذين اعتبروا السحر والشعوذة والتبرك بالأولياء الصالحين تقربا إلى الله، وأصبح شيخ الطريقة أحيانا كثيرة يتصف بأوصاف الربوبية وهو مصدر كل خير أو شر[4].

---

(1) عباس فرحات، المصدر السابق، ص 91.

(2) رابح تركي عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط 5، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 2001 ، ص ص 207، 238.

(3) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956 ، ص ص 147،148.

(4) حميد دريادي، المرجع السابق، ص 26.

أما ثقافيا فحال الثقافة في الجزائر المستعمرة إبان القرن 19 م، لا يختلف عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي وغيرها، فقد كانت في أسوء أحوالها وركزت فرنسا عليها كونها كانت تهدف إلى محو معالم الشخصية الجزائرية، ولبلوغ ذلك عملت فرنسا منذ أن وضعت أقدامها في الجزائر بمحاربة التعليم العربي الإسلامي من خلال تجفيف منابعه عن طريق الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية[1] التي كانت تلعب دورا هاما في توفير التعليم والرعاية الاجتماعية لمختلف فئات المجتمع الجزائري، وبالاستيلاء عليها تدهور وضع التربية والتعليم تدهورا كبيرا، وحاربت اللغة العربية ومؤسساتها من زوايا ومدارس وجوامع وغيرها[2] باعتبارها أساس الثقافة الجزائرية بمحاولتها الحط من قيمتها واظهارها أنها لغة ميتة[3]، أين قامت بتهديم المؤسسات التعليمية وإحلال المدارس الفرنسية محلها[4] عام 1850م، التي لم تكن تحمل من العربية إلا الاسم، ولم يكن هدفها تعليم الجزائريين بقدر ما كان تكوين فئة منهم تكون وسيطا بين إدارة الاحتلال وبين الأهالي[5].

عاش ابن سماية في الجزائر هذا الواقع المر وتألم له، وتأثر به، فتأكد من نوايا الاستعمار، فعمل جاهدا وعزما على مساعدة بني وطنه بعلمه وقلمه، وانبرى للدفاع عن عقيدته ودينه بكل الوسائل التي أتيحت له.

---

(1) قمير قوادرية، المرجع السابق، ص 25.

(2) عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 125.

(3) سهام بديرينة، النشاط الثقافي الأهلي في الجزائر ما بين (1900– 1918 م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، اشراف لخميسي فريح، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014–2015 ، ص 22.

(4) عبد القادر حلوش، نفسه، ص 126.

(5) جريدة المبشر، ع 25 ، مارس 1882 ، ص 09.

المطلب الثالث: تأثره بالنهضة المشرقية

كان للنهضة الإصلاحية في المشرق العربي انعكاسات على علماء الجزائر ومنهم عبد الحليم بن سماية ، حيث احتك بهذه الحركات عند أدائه لفريضة الحج، كما كانت عودة الجزائريين الذين أتموا دراستهم في الخارج في الحجاز وسوريا عاملا من عوامل اليقظة الفكرية ونمو الوعي الديني والوطني، وحتى الذين لم تمكنهم ظروفهم من الاطلاع المباشر على ما يجري خارج بلادهم فإن هذا لم يمنعهم من تتبع الأخبار التي تطلعهم على بعض مظاهر النهضة الفكرية، والحركة الإصلاحية التي بدأت رياحها تهب في كثير من الأقطار، فكانت الجرائد والمجلات العربية تتسرب إلى الجزائر بطريقة أو آخرى، من مصر وبقية الدول العربية[1].

فمجلة المنار التي كانت تصل إلى الجزائر خفية ساهمت في إيصال فكرة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر، وإلى غيرها من البلدان الإسلامية، وكان لها أثر في تهيئة الأجواء لاعتناق الدعوة الإصلاحية، وتبني الأفكار التي قامت عليها، والاقتداء بأئمتها أما جريدة العروة الوثقى[2] التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من الصحف التي كانت تغطي نفوس المصلحين[3].

---

[1] عبد الكريم فوضيل، محمد صالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، دار الأمة، الجزائر، 2010 ، ص ص 25-26.

[2] العروة الوثقى: هي جريدة سياسية وأدبية، كانت تصدر أسبوعيا كل يوم خميس، كان مقرها يقع ب 6 شارع مارتل، الحي العاشر بباريس، صدر منها 18 عددا فقط، العدد الأول كان في 1884/03/13 م والأخير يوم:1887/10/16 م، كانت تحتوي على 204 صفحة وتصدر بشكل غير منتظم، وتوزع مجانا، كما كانت تصل إلى 800 قارئ في العالم الإسلامي، كانت تدعو إلى يقظة العرب والمسلمين وفتحت عيون العرب على الخطر الاستعماري. للمزيد انظر: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، العروة الوثقى، ط 3، دار الكتاب المغربي، لبنان، 1983 ، ص 175.

[3] محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ محمد عبده، ج 1، مطبعة المنار، مصر، 1931 ، ص 87.

ولقد استمر الاتصال الفكري بين الجزائر وغيرها من البلدان الإسلامية ولم ينقطع، حيث شارك عمر بن قدور بقلمه في جريدة "الحضارة" بالأستانة، واللواء[1] والمؤيد[2] بمصر سنة 1914 م، وقد كانت هذه الجرائد تكتب عن الجزائر وتدافع عن أقطار المغرب العربي، ويعترف الفرنسيون بأن هناك مجرى سري غزير ومتواصل من الصحف والمجلات الشرقية التي أعانت المغاربة في مجاهداتهم الإصلاحية وجعلتهم مرتبطين دائما بالرأي العام الفرنسي[3].

فهذه المجلات والجرائد التي كانت حربا على الأفكار الجامدة وعلى الاستعمار وعلى الروح الاتكالية التي أثرت في كثير من علمائنا، من ذوي النزعة الإصلاحية الذين أسهموا في إنعاش الحركة الفكرية عن طريق التدريس والكتابة، أمثال الشيخ عبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية الذين يعتبران من رجال الإصلاح الذين حاربوا البدع والخرافات وقد عاشا للعلم والتعلم[4]، حالهم حال غيرهم من المصلحين الجزائريين.

ومن الدوافع التي أدت إلى الإصلاح كذلك وساعدت عليه إلى جانب المجلات والجرائد والكتب التي كانت تصل إلى الجزائر، زيارة الأستاذ محمد عبده لعاصمة الجزائر في[5] صيف سنة 1903 فقد أقام بها عشرة أيام، أكرمه الجزائريون أي إكرام وأجلوه حق الإجلال

---

(1) اللواء: جريدة مصرية أسسها الزعيم المصري مصطفى كامل في القاهرة سنة 1900 م، وكانت تكتب عن الجزائر كثيرا وتدافع عن أقطار المغرب العربي الثالثة في وجه المظالم الاستعمارية وتعنى بشؤون العرب والمسلمين عناية كبيرة ولعبت دورا كبيرا في النهضة السياسية في مصر وبقية الأقطار العربية. للمزيد انظر: فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، ج 5، د ت، بيروت، ص ص 112، 114.

(2) المؤيد: جريدة مصرية أسسها كل من أحمد ماضي وعلي يوسف عام 1889 م. للمزيد انظر: نفسه، ص ص 166، 170.

(3) عبد القادر فضيل، محمد صالح رمضان، المرجع السابق، ص 25.

(4) عبد الغفور شريف، موقف جمعية علماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954-1956 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، اشراف أحسن بومالي، قسم علوم الاتصال، جامعة الجزائر، 2010-2011، ص 35.

(5) عمار الطالبي، المرجع السابق، ص 25.

والتقدير بما يليق برجل عظيم مثله فكان عبد الحليم بن سماية من الوفد الذي استقبله، وقد تكررت في تلك الأيام مجالس وسهرات الأنس وكل حاضر يستفيد ويفيد فكانت خلاصة نصائح الأستاذ الإمام لجلسائه الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية[1].

وكانت صلة رواد الحركة الإصلاحية جد وثيقة بمجلة المنار، حيث طلب ابن سماية من محمد عبده أن يوصي صاحب المنار الشيخ رشيد رضا[2] بأن لا يذكر دولة فرنسا بما يسوؤها لكيلا تمنع وصول المنار الى الجزائر وقالوا له: "فإذا انقطعت انقطعت الحياة عنا[3]" وقد كتب له الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة[4] أحد العلماء المشهورين بتآليفهم المفيدة يقول فيه ما نصه: "...وقد اطلعت في المنار الأنور على تفسير سورة العصر بقلمكم البديع فراقني أسلوبه الفائق العجيب، ما أبعد غور فكركم الصائب، وغوض ذهنكم الثاقب في استنباط دقائق المسائل ، وتقرير حقائق الفضائل ولشدة شغفي به قرأته على ملأ عظيم من العلماء والطلبة والأعيان عشر مرات في مجالس متفرقة فاستحسنوه جدا واستجزلوا فوائده

---

(1) سعد الدين بن أبي شنب، مقال النهضة العربية بالجزائر من النصف الأول من القرن 14 هجري، ع1 ، مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر ، الجزائر،1964 ، ص 63.

(2) محمد رشيد رضا: ولد في 23 سبتمبر 1865 م في قرية القلمون بلبنان، من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهروا مطلع القرن 14 هجري، كما كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا، وهو أحد تلامذة الشيخ محمد عبده أسس مجلة المنار على نمط مجلة العروة الوثقى، وتوفي بمصر سنة 1935 م. للمزيد انظر: أنور الجندي، أعلام وأصحاب أقلام ، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، د ت ، ص 112.

(3) محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية من 1903 إلى 1931م، ج 1، المرجع السابق، ص 56.

(4) مصطفى بن الخوجة: من علماء مدينة الجزائر العاملين، ومن المصلحين الأوائل الذين حاربوا البدع والخرافات في الجزائر، ولد عام 1381 هـ / 1865 بالجزائر، نشأ وتعلم بمسقط رأسه وحفظ القرآن، وتعلم مبادئ العلوم على يد شيوخه كالسعيد بن زكري وغيره، وقد ألف كتابا عن حقوق المرأة في الإسلام سماه "الاكتراث في حقوق الإناث"، واشتغل محرار في الجريدة الرسمية "المبشر" في الفترة الواقعة فيما بين (1896-1901)، وكان يدرس التفسير والتوحيد والفقه وغيره. للمزيد انظر: رابح تركي عمامرة، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1951 م) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975 ، ص 146.

وأبدوا من السرور مالا يزيد عليه وأثنوا على جنابكم السامي بما أنتم أهله، ودعوا لكم من صميم الفؤاد سعادة الدارين[1]".

وقد كان لهذه الزيارة أثر كبير على ابن سماية الذي استفاد من أفكار الإمام محمد عبده ومن دروسه التي حضرها له، فطبعت شخصيته بطابع المصلح الجزائري حامي اللغة والمدافع عن الدين والواقف في وجه المحاولات الفرنسية للقضاء عليها.

المطلب الرابع: لقاءاته مع علماء عصره

لقد التقى الشيخ عبد الحليم بن سماية بمجموعة من الشخصيات الهامة والفعالة وحاول الاقتراب منها، ومن بين هذه الشخصيات محمد عبده[2] الذي التقى به أثناء زيارته إلى الجزائر في صيف 1903 م، حيث هرع إلى استقباله وملازمته ليلا ونهارا، ولم يفارقه أبدا حتى انتهت زيارته، كما مدحه في قصيدة بعثها إليه بالقاهرة نشر بعضها في مجلة المنار المصرية في عددها الصادر يوم 6 ذي القعدة الموافق ل 3 فبراير 1904 م، وقد قدم لها صاحب المجلة الأستاذ محمد رشيد رضا قائلا: "قصيدة عالم جزائري بل أشهر علماء الجزائر مدح بها الأستاذ والإمام محمد عبده، وأرسلها إليه بالقاهرة في عهد قريب، فسرنا منه أنها آية من آيات صلة علماء الإسلام بعضهم بعضا في الأقطار المتابعة وشعور أهل المغرب منهم بما يشعر به أهل المشرق من مقام الأستاذ الإمام [3]".

---

[1] محمد رشيد رضا، آثار علمية وأدبية تفسير سورة العصر، مجلة المنار، مج 6، ج 23 ، 18 فيفري 1904 ، ص 917.

[2] انظر الملحق رقم 3 ، 4.

[3] محمد رشيد رضا، قصيدة عالم جزائري في الأستاذ الإمام، مجلة المنار، مج 6، ج 23، 17 فيفري 1904 ، ص ص 917 ، 918.

كما أثنى صاحب المنار على صاحب القصيدة حينما تحدث عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر[1] فقال: "فقد نال مراده فاجتمع بخيار العلماء والعقلاء الذين يقدرون الإصلاح قدره ومن خيارهم الشيخ محمد ابن خوجة صاحب المصنفات والأستاذ الشيخ عبد الحليم بن سماية "، كما إن الشيخ محمد عبده هو الأخر مدح عبد الحليم بن سماية[2] عندما نزل بصقلية وبالضبط في "بلرم" حيث كان متجها إلى تونس، وما نستنتجه هنا أن الشيخ محمد عبده أثر بشكل كبير في الشيخ عبد الحليم بن سماية، مما جعله يتبنى مذهبه الإصلاحي وجعل جريدة المنار مددا لحياته[3].

وكذلك من بين الشخصيات التي التقى بها ونقلت لنا أخباره هو الأستاذ احمد توفيق المدني[4]، حيث أورد أنه كان على موعد معه في مزرعة السيد محمد ابن الأكحل غير بعيدة عن بلدة "الأربعاء"، حيث قال أنه دخل المكان مع صاحب الدعوة ووجدوا الشيخ ابن سماية يتوسط القاعة ووصفه قائلا: "كان الشيخ جليلا، ابيض الوجه تعلوه حمرة تركية، ازرق العينين، حاد النظر، قاسي الملامح فقام للسلام علي ولم تتغير ملامحه ولم تبد على وجهه أدنى بشاشة... قال لي: مرحبا بك ثم سكت طويلا، وكنت أتكلم معه أحيانا وأتكلم مع صاحب الدعوة وهو ساكت لا ينطق، لا يتحرك، لا يبدي إشارة كأنما هو صورة مجسمة من الشمع الملون كما كنت أرى في متحف الفريقان بباريس".

فتعجب احمد توفيق المدني من الحالة التي وجد فيها الشيخ عبد الحليم بن سماية، فقال للسيد محمد بن الأكحل: "أهذا هو الشيخ عبد الحليم بن سماية العالم الشهير الذي[5]

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 273.

[2] انظر الملحق رقم 3.

[3] عمار الطالبي، المرجع السابق، ص 36.

[4] بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1983 ، ص 77.

[5] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2010 ، ص 78.

طبق صيته أفاق العالم الإسلامي؟ قال لي: نعم فأردت أن أتعرف على حالته بعدما أحيل على المعاش وأصبح ملازم الوحدة والسكوت[1].

وواصل أحمد توفيق المدني محاولته من أجل التحدث مع الشيخ فقال له: "بالله يا أستاذنا العظيم وأنت رجل العلم ومربي الجيل وحامل لواء القرآن، إن قلبي يذوب ويلتهب وانأ أرى حال هذا البلد الذي كان أمينا فأصبح مهانا ذليلا وحتى رعاة الخنازير يريدون الاحتفال باحتلاله فازداد وجهه احمرار، وازدادت نظرته حدة وازدادت ملامح وجهه قسوة، حتى خيل لي انه يثور ثورة عنيفة مرعبة، ثم عاد إلى سكوته، فواصل ذلك محاولا التحدث معه بكل إصرار فقال له: " رد إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فلا تغيروا ما بأنفسكم من ذلة واستكانة ورضوخ وتشتت الشمل وقلة النصح، وخوف العالم وانهيار الإيمان بغير الله حالكم إلى أحسن حال" ، وهنا استطاع احمد توفيق المدني استنطاق الشيخ فقال له: "لقد قال الله ذلك لقوم يعقلون، وما نزلت أية من القرآن هي أهدى للألم، وأدل على طريق الحرية والسعادة كهذه الآية، لكن أين من يفهم، وأين من يسمع، وأين من يعي؟ فتأسف الشيخ عبد الحليم بن سماية من الواقع الجزائري المعاش، كما انه لم يعجب بالطلبة الذين كونهم من خلال فترة تعليمه، لأنهم لم يأخذوا بالنصائح التي قدمها لهم ولم يسعوا إلى تغيير الواقع الذي هم فيه، وزاد من معاناته بعدما احتفلت فرنسا بمئوية الاحتلال في سنة[2] 1930 م.

وكذلك من بين الشخصيات التي التقى بها الشيخ ابن سماية، وهي شخصية الأستاذ "لخضر حسين" الذي كان عضو في مجلس اللغة العربية، وشيخ في الجامع الأزهر، وقد مدح هذا الأخير الشيخ في مقاله في مجلة "السعادة العظمى" التي كان يصدرها بتونس[3]،

---

[1] أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 78.

[2] نفسه، ص ص 81 ، 82.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 94.

فقال: " فالتقينا بالشيخ عبد الحليم بن سماية فغمرنا بنفحات حلقه الناظر، وفصاحة لسانه الساحر[1]". وجالسه في بيته في مسامرة دامت ست ساعات، ويقول الشيخ لخضر بعد هذه المجالسة: "كلام يشهد لصاحبه بسلامة الذوق والولوع بالكشف عن أسرار المسائل دون الاكتفاء بتصوراته المجردة."

كما كانت لابن سماية لقاءات مع مختلف علماء عصره داخل الوطن، من أمثال عبد القادر المجاوي الذي التحق للعمل كمدرس بمدرسة الثعالبة التي سبقه إليها ابن سماية[2]، وغيرهم كثير إذا أن احتكاكه بمثل هؤلاء ساهم أيما مساهمة في صقل وتكوين شخصيته.

المبحث الرابع: وفاته

لم تدم فترة النشاط والهمة العالية فقد انقلبت حياة عبد الحليم في أخر عمره رأس على عقب، فأصبح عديم المبالاة بنفسه فلا يلتفت إلى مظهره ولا إلى هيئته في ملبسه وهندامه وحتى سلوكاته اليومية، حيث انه اتخذ لمركبه حصانا وتمنطق سيفا، وأخذ يتجول بين أروقة وأحياء الجزائر وكثيرا ما كان يشهر سيفه في وجوه المستعمرين، ويدعو الناس إلى النهوض من سباتهم والاستيقاظ من نومهم، مقدما خطبا وهو على ظهر الحصان، ورغم هذا بقي عقله مستوعبا للعلوم فكان يجيب السائلين عن مختلف المسائل الدينية واللغوية[3].

وحيث أن هذا المرض العقلي الذي أصاب عبد الحليم يقال بأنه مرض وراثي انحدر له من أحد أجداده، وكان السبب في مرضه كما يعتقد الكثير هو قوة وجدانه وشدة حماسه وبغضه للاستعمار خاصة بعد القضاء على ثورة عبد الكريم الخطابي، حيث هذا الحدث[4]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 94.

[2] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص117.

[3] موسى صاري، عبد الحليم ابن سماية، دار ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 ، ص 15 .

[4] محمد على دبوز، المرجع السابق، ص131 .

أثر فيه كثيرا. فأصيب بمرضه العقلي في سنة 1924م، لكن شفي منه وأصيب مرة أخرى سنة 1928 م، فأجبر على المعاش وأعفي من التدريس، فأصبح ينهض باكرا ويصيح في المدن مثل الجزائر، البليدة وقصر البخاري[1].

و بعدها أمسك عن الكلام ولازم الصمت وبقي على هذه الحالة، حتى اجتمع جيرانه وهم سكان ضاحية" الحامة " في شهر رمضان، وقرروا فيما بينهم التوجه إلى الشيخ ليعقد لهم مجالس دينية في ليالي رمضان، ووقع اتفاقهم على أن يكون مجلس الدرس بزاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري بالقرب من مسكن الشيخ، وعلى أن يكون الدرس ما بين العشاءين فعرضوا عليه ذلك فوافقهم على ذلك، وشرع بالفعل في تدريس رسالة أبي زيد القيرواني من أول رمضان، فكان يأتي ولا يحمل سوى المتن فقط، فالتف حوله الجمع وسار بهم الشيخ على هذا المنهاج أياما أربع، وفي الليلة الخامسة حضر مثل عادته وشرع في تقديم الدرس، وهنا شعر بإرهاق شديد فصمت، فأسرع إليه الحضور وأخذوا بيده وأسعفوه ورافقوه إلى منزله، وأثناء رجوعهم من المنزل ودعهم الوداع الأخير وكان ذلك في يوم الخميس أول يوم من سنة 1933م، و كان قد بلغ من العمر حوالي خمس وستون عاما[2].

وقد شيعت جنازته في يوم الغد في جو مشحون بالحزن والأسى، وقد كتبّ على قبره المرحوم العلامة سيدي عبد الحليم بن سيدي علي بن إسماعيل المتوفي في 5 رمضان 1351هـ الموافق لـ 1 جانفي 1933 م[3].

---

[1] محمد على دبوز، المرجع السابق، ص131 .

[2] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص288 .

[3] عمار الطالبي، المرجع السابق، ص34 .

وخصصت له مجلة التلميذ عدة صفحات وكتب عنه تلميذه الشيخ أبو عبد الله محمد الحســـن الحــجوي مقالا طويلا ذكر فيه جوانب من حياته وأعمـاله، وقد وصفه بأنـــه: " كان حسن المحاضر، فكه المجالسة، متين الدين". ونقلت مجلة الشهاب الإصلاحية خبر وفاته. كما وصفته بما يليق بمقامه الكبير وعلمه الغزير ونضاله المستميت في سبيل دينه

ووطنه فهو في نظر الشيخ إبن باديس[1]: "عالم عامل، غيور على دينه ووطنه مخلص لهما قضى حياته مدرسا بالمدرسة الثعالبية فبث روحا طيبة فيمن اتصلوا به من تلامذتها معظما محترما عند زملائه فيها وعند رؤسائها"؛ ثم أضاف: «رحمه الله وجازاه عن العلم وخدمته واحترامه والاعتزاز به خيرا وعزى أهله وأهل العلم فيه خير العزاء[2]".

وعلى الرغم من كل هذا التاريخ الحافل بالعطاء العلمي والنضال الوطني لم ينل بعد الشيخ عبد الحليم بن سماية حقه من الدراسة والبحث. وهذا حال العديد من رواد الإصلاح الديني في الجزائر المعاصرة.

---

[1] عبد الحميد بن باديس: ولد الشيخ في سنة 1889 وسط أسرة من اكبر الأسر القسطنطينية يمتد نسبها إلى أسرة مالكية وهي أسرة المعز الصنهاجي ، وهي من بين الأسر التي تعاملت مع الإدارة الفرنسية ، فنجد جده مثلا قد تحصل على وسام من نابوليون الثالث سنة 1864 ، أما أبوه فكان عضو في المجلس الأعلى للجزائر وأتم الشيخ حفظ القرآن في الثالث عشر من عمره واخذ مبادئ اللغة العربية على يد الشيخ حمدان لونيسي الذي هاجر بعد ذلك إلى المدينة المنورة ، اتجه إلى جامع الزيتونة مابين 1908-1912وأتم تعليمه هناك وأثناء عودته إلى الجزائر تولى وظيفة التدريس. للمزيد انظر: محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر ، وزارة الثقافة ، الجزائر، 2007 ، ص ص 9 ، 10.

[2] مولود عويمر، ترجمة الشيخ عبد الحليم بن سماية الجزائري، المكتبة الجزائرية الشاملة، الجزائر، 2017/09/23، www.shamela-dz.net، بتاريخ، 20 /2018/03، ص 2.

نستنتج من مباحث الفصل الأول أن الجزائر شهدت نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 بروز شخصية وطنية، وعالم من العلماء الأجلاء الذين عملوا على نهضة الجزائر وإخراجها من غياهب الجهل الظلم الاستعماري، وهو الشيخ عبد الحليم ابن سماية (1866 – 1933 م).

وما نستشفه مما سبق ظروف محلية وأخرى إقليمية في صقل مواهبه وشخصيته، فأوضاع الجزائر الداخلية من تواصل سياسة القهر الاستعماري ومحيطه الأسري العلمي واحتكاكه بعلماء عصره وخاصة الشيخ محمد عبده وعبد القادر المجاوي، كما أن رحلته لتونس و المشرق العربي وتأثره بالنهضة العربية المشرقية، كلها عوامل وغيرها ساهمت بشكل أو بآخر في تكوين شخصيته ليتصدر المشهد الثقافي في الجزائر أوائل القرن العشرين، وقد حلت بالجزائر نكبة كبرى بفقدان هذا العالم الجليل والشيخ الفضيل والإمام الورع بمرضه العقلي الناتج عن ضغوطات المستعمر ثم وفاته سنة1933 م، والذي حمل على عاتقه مسؤولية الدفاع عن الدين الإسلامي واللغة العربية وإصلاح المجتمع الجزائري.

الفصل الثاني:

وسائل ومرتكزات الاصلاح

عند عبد الحليم بن سماية

اعتمد الشيخ عبد الحليم بن سماية على مجموعة من الوسائل والدعائم، ساهم من خلالها في نشر أفكاره التعليمية والتربوية لتلاميذه وأبناء وطنه بغية توعيتهم وتنوير عقولهم، وأبرزها.

المبحث الأول: التربية والتعليم

لقد كان التعليم قبل دخول الفرنسيين مزدهرا، وكان الجزائريون جميعا يتنافسون في طلبه ونشره، حيث كان الحكام والأعيان والأغنياء يتنافسون في إنشاء المعاهد العلمية؛ إلى درجة أنك لا ترى قرية ولا حي من الأحياء ولا بادية إلا وتجد كتابا يعلم فيه القران الكريم والفقه وعلوم اللغة العربية، وبعد الاحتلال عملت الحكومة الفرنسية من أجل القضاء على التعليم العربي نهائيا[1] فكان التعليم هو الأخر من ضحايا السياسة الاستعمارية[2].

لذلك فقد سعت فرنسا لتجهيل المجتمع الجزائري وإن كانت تقوم بناء بعض المدارس التي كانت تفرض فيهم تعلم الفرنسية من أجل تكوين بعض الموظفين، وابن سماية كان من الذين تلقوا التعليم المزدوج، غير أن هذا لم يمنعه من تكوين نفسه تكوين عربي إسلامي، حيث عمل الشيخ عبد الحليم بن سماية بكل قواه، في ميدان التربية والتعليم بشقيه المدرسي والمسجدي، فظهرت فيه عبقريته، وغنم فيه أعظم النتائج، سيما في التدريس العالي، وذلك باعتبار أن مهمة التعليم واجبه المقدس، فقد كان يقسم ساعات عمله اليومية بين المدرسة والمسجد، وسوف نحاول تتبع مساره التربوي التعليمي بدءا بالتعليم المسجدي[3].

---

(1) أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السيعد الزاهري، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارات البحر الابيض المتوسط، اشراف الجمعي خمري، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005- 2006 ، ص 105.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 85.

(3) عبد الحميد زوز، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962 م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص 234.

المطلب الأول: التعليم المسجدي

باشر ابن سماية التدريس والإرشاد في سن العشرين[1]، حيث كان يلقي دروسا في مسجد "صيد الأسماك" كل يوم عدا يومي الجمعة والأحد، وكانت دروس العامة، تبدأ من الساعة العاشرة إلى الساعة الحادية عشر، وتتمثل في شرح الأحاديث وتفسير سور من القرآن الكريم، أما الدروس الخاصة الموجهة للطلبة العلم[2]، فكان يلقيها يومي الثلاثاء والأربعاء من الساعة الرابعة إلى الخامسة، تتمثل في نصوص أدبية من كتاب " المستظرف " وكتب الفوائد أيضا، وقد استعمل بن سماية دفتر المناداة في المسجد، وبلغ عدد الحضور من عشرة إلى ثلاثين تلميذا[3]، وذلك أن حركة التعليم المسجدي كانت غير قوية إذ لا يوجد في العاصمة سوى أربعة مساجد كانت تجري فيها الدروس على النحو الذي أشرنا إليه سابقا، وفي هذا يذكر شيخ جامع الأزهر بمصر فيما كتب عن بن سماية في مجلة "السعادة العظمى" عند رحلته إلى الجزائر قال[4]: " وذهبنا إلى المسجد الذي أسسه السيد مصطفى بن الأكحل فشهدنا ختم الشيخ بن سماية لكتاب التوحيد ...، ويبين كيف ينتزع منها العقائد الدينية بطريقة استحسنتها جدا حتى أني من المحرضين له على إقراء الدرس في التفسير..." ، وكان عبد الحليم بن سماية في تقديم دروسه كعادته حيويا ونشيطا ومحاربا للبدع والخرافات كما كان يدعو في دروسه إلى النهوض العلمي والديني والوطني[5].

---

(1) خدوسي رابح، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2003 ، ص 14.

(2) طلبة العلم: الذين يدرسون السنة الأولى تابعين للمدرسة أو الطلاب الأحرار الذين يهيئون أنفسهم للالتحاق بالمدرسة. للمزيد انظر: عبد الحميد زوز، المرجع السابق، ص 234.

(3) نفسه ، ص 235.

(4) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 409.

(5) محمد الصالح الصديق، أعلام المغرب العربي، ج 1 ، ص 41.

وبعد ذلك تولى الشيخ عبد الحليم بن سماية التدريس في الجامع الكبير في 15 أكتوبر 1900م ، خلفا لأبيه الشيخ علي بن سماية، وأصبح يقوم بوظيفتين ؛ وهذا ما جعله يقسم وقته إلى قسمين فخصص اثنتا عشرة ساعة في الأسبوع للتعليم في المسجد وأربعة عشر ساعة في المدرسة الثعالبية، وما لوحظ على الشيخ انه كان حنفي المذهب هذا ما جعل دروسه تقتصر على كتب الشرنيلالي والقدوري والطحاوي وابن عابدين، والنسفي ورسالة أبي محمد بن أبي زييد القيرواني المالكي، وهنا يذكر الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أهم الكتب التي اعتمد عليها الشيخ في التدريس بالجامع الكبير خلال السنوات (1924-1926م) ، حيث ذكر ورقات امام الحرمين في الأصول، شطر من تنقيح القراني رسالة العضد في علم الوضع، شرح السجاعي على المقولات العشر، الجوهر المكنون في البلاغة للأخضري (شرح المخطوط) ، نظم الخزرجية في العروض، قطر الندى في النحو تفسير سورة البقرة بالجواهر الحسان للثعالبي، كتاب البصائر النصرية في علم المنطق لأبي سهلان بتعليقات الشيخ محمد عبده، إضافة إلى دروس عامة حول الأماكن التي كان يزورها وكذلك حول ما قرأه في الصحف وما ألقاه في النوادي[1].

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، ص278 .

المطلب الثاني: التعليم المدرسي

لقد أدى كذلك الشيخ عبد الحليم بن سماية رسالة نبيلة وهي التدريس، حيث تولى التدريس أولا في المدرسة الحكومية الرسمية التي تقع في شارع السفراء بباب الواد وهي باللغة العربية جعلتها فرنسا لإنشاء الموظفين قبل بناء المدرسة الثعالبية وفي سنة1906 م دخلتها الفرنسية، فصارت بذلك مزدوجة اللغة، وبدأ التدريس فيها منذ 1896 م وعمره حوالي ثلاثين سنة وفي هذه السنة كان قد أتم تكوينه العلمي والشخصي، وأصبح بذلك يتقن مجموعة من العلوم كما نضجت مواهبه، وأسندت له التدريس في الدروس العليا في اللغة العربية وكذلك التعليم كل من التفسير والتوحيد والأدب فقام بدوره على أحسن حال[1].

ومن بين النماذج التي درسها لطلبته رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، وكذلك أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني مقتديا بالشيخ محمد عبده، وكان هدف الشيخ محمد عبده من تدريس هذين النموذجين في الجامع الأزهر كونهما يمثلان الدراسات الأدبية النقدية التي من شانها تربية الطلاب وتكوين أذواقهم وقد درسها الشيخ محمد عبده قبل أن يدرسها الشيخ عبد الحليم بن سماية[2].

ثم تولى الشيخ عبد الحليم بن سماية التدريس في مدرسة الجزائر التي أصبحت تسمى بالمدرسة الثعالبية منذ حوالي 1896 م عند إعادة تنظيم المدارس وفق إصلاحات 1895م، ومن النماذج التي درسها في هذه المدرسة" ألفيه ابن مالك "بشرح ابن عقيل و" شرح الأشمولي" وكذلك" العقد الفريد"، و"نهج البلاغة "و"ديوان الحماسة"، وهي الكتب التي سوف يدرسها فيما بعد الشيخ عبد الحميد بن باديس[3].

---

[1] محمد على دبوز، المرجع السابق، ص116 .

[2] عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص115 .

[3] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص27.

أما عن أسلوبه في التدريس فقد كان درسه بليغا، يتكلم بفصاحة وألفاظ محكمة فخمة وذلك يرجع إلى غزارة علمه ومادته اللغوية التي كونها أو تكونت فيه بسبب انكبابه على المطالعة، فهو لا يتنازل في دروسه للغة العامية أبدا، إلا في البعض النوادر والحكايات الخارجة عن السياق أثناء الدرس فلذلك كان لا يمل حديثه ولا يشعر بالضجر جليسه. كما أنه كان يتحدث باللغة الفرنسية عند اللزوم، ويتكلم باللغة العبرية وكان يجادل أهلها بها ويقيم عليهم الحجة[1].

لم يكن في تدريسه يقتصر على النظريات والقواعد التي تنسى ولا تفهم إلا بتطبيقها، ونذكر مثال عن ذلك أنه ذات يوم في درس الأدب والبلاغة ذكر لتلاميذه شيئا عن الموسيقى الجزائرية وألحانها، حيث أن ابن سماية درسها وحفظ الكثير من الموشحات الجزائرية كما سبق الذّكر، فلم يفهم تلاميذه ما قال عن الموسيقى، فوعدهم أنه سوف يفهمهم بالتطبيق ؛ وفي الغد دخل ابن سماية قاعة الدرس مرتديا جبة عريضة حمراء ضاربة إلى الصفرة، ويحمل العود فضرب عليه الألحان التي ذكرها لهم، وأظهر الفرق بينها، كما وضح لتلاميذه أنواع الأوتار وأسمائها وبذلك فهم التلاميذ الدرس[2]، هكذا كان ابن سماية فهو لا يرتاح فيما يلقيه على تلامذته من الدروس إلا إذا شعر من نفس التلميذ بالاطمئنان إلى ما تلقاه ووعي وحفظ لما زواله من المسائل المطروحة في الدرس[3].

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص27.

[2] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص 118 ، 121.

[3] نفسه، ص278.

وقد كون الشيخ ابن سماية أيضا العديد من التلاميذ في المدرسة الثعالبية الذين برزوا كثيرا وكان لهم دور كبير في النهضة الجزائرية والحركة الإصلاحية نذكر منهم: الشيخ عبد الرحمان ابن دالي، الشيخ مزيان عبد السلام، الشيخ ابن مليس التلمساني والشيخ أحمد بن محمد التجاني[1].

ونظرا لأدائه المخلص في التدريس فقد كانت تقارير المفتشين الفرنسيين في عهد الحاكم شارل جونار[2]، تشيد به وبعلمه وبطريقته في التدريس وفصاحة لسانه[3]، وكان من الذين نالوا أوسمة[4] علمية تشجيعا لهم أو اعتراف بفضلهم في أداء مهمة التعليم كما منحت هذه الأوسمة كذلك لعدة أساتذة وشيوخ، اضافة إلى هذا فقد وجدت تقارير كثيرة عن ابن سامية كمدرس ناجح كتبها المشرق الفرنسي"وليام مارسيه "ووصفه فيه بفصاحة اللسان وحرية الفكر وسلامة اللغة وقال عنه أنه من المعلمين البارزين في المدرسة[5].

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 40.

[2] شارل جونار: (1927/1857) شخصية سياسية فرنسية عين حاكما عاما على الجزائر مرات عديدة الأولى ما بين 19001/1900م و الثانية ما بين 1911/1903م والثالثة بعد الحرب العالمية الأولى ما بين 1921/1918م ، وضع حجر الأساس لجامعة الجزائر سنة 1909م ، كما أصدر قانون 1919م الخاص بتوسيع دائرة النواب المسلمين في المجالس المحلية ، كما اتبع سياسة تعسفية طاغية بإصداره منشورات جونار و إنشائه المحاكم الرادعة .للمزيد انظر: إبراهيم مياسي، إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية (1900– 1914 م)، مجلة المصادر ، ع 6 ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر، الجزائر، 2002 ، ص ص 133 ، 134.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص95 .

[4] الوسام: ففي سنة 1910 م نال الوسام العلمي التقديري الأول من إدارة المعارف الفرنسية، وفي سنة 1923 م نال الوسام التقديري الثاني وهو العالي. للمزيد انظر: محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص 116 ، 122.

[5] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 275.

المبحث الثاني: مؤلفاته

رغم ما تميز به من ثقافة واسعة إلا أن إنتاجه العلمي لم يبلغ إنتاج ابن أبي شنب ولا ابن الخوجة ولا الحفناوي، لأن التدريس قد أخذ من وقته حيث تفرغ لتكوين وإعداد الرجال بدلا من التأليف، كما انه تأثر بروح العصر التقليدية والمتمثلة في البحث عن الأسانيد العلمية وعن الايجازات، فكانت هجرته إلى تونس بسبب ذلك، فحصل على إجازة كتاب" المواقف للعضد"، كما أجازه الشيخ محمد بن بلقاسم وقاضي تلمسان، كما كانت له إجازات من المشرق العربي[1]. وهذا لا يعني انه ليس له أعمال غير أنها قليلة وبعضها تعّدو تكون مجهولة مثل كتاب فلسفة الإسلام حيث يقول في ذلك عبد الرحمان الجيلالي:" ولا يزال هذا البحث مجهولا لدينا إلى اليوم فلا نعلم عنه شيئا[2] ".

المطلب الأول: كتاب فلسفة الإسلام

كما سبق وأن عرفنا بأن الشيخ عبد الحليم بن سماية، قد جمع معارفه من مختلف العلوم، لذلك تذكر المصادر التاريخية أحد أهم مؤلفات الشيخ في مجال الفلسفة تحت عنوان كتاب الفلسفة الإسلامية[3]، حيث يعرض فيه النظرة الإصلاحية الفلسفية[4].

وقد رأى ابن سماية أن يقدم فصلا في مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع عشر الذي انعقد بالجزائر في 1905م[5]، من أجل اغتنام الفرصة لطبع الكتاب على نفقة الحكومة الفرنسية، لكنه لسوء الحظ لم تكن الحكومة راضية عما جاء فيه من أفكار، وفي هذا يقول[6]

---

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 3 ، ص94 .

(2) عبد الرحمان الجيلالي، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي (1866–1933 م)، ص210.

(3) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 402.

(4) ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 92.

(5) موسى صاري، سلسلة أعلام الجزائر، دار ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 14.

(6) عبد الرحمان الجيلالي، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي (1866-1933م)، ص 213.

عمر راسم: " ولما فيه من الحقائق النيرة لم ترض الحكومة طبعه، إنه كتاب قيم ليت دور النشر في الجزائر تبحث عنه فتطبعه."

ومهما كان الأمر فقد بقي الكتاب في سلة مهملات الإدارة الفرنسية، ويذكر عبد الرحمان الجيلالي أن الفصل الأول الذي قرأه في المؤتمر لم ينشر أيضا، فلولا نباهة ابن شنب واهتمامه وحضوره في المؤتمر، حيث أنه قام بتلخيص مجموعة من النقاط أثناء تقديمه للمؤتمرين من طرف ابن سماية، وبذلك قدم ابن شنب ملخصات أساسية.

وبناءا على ما جاء في تلخيص ابن شنب، فان محتوى الكتاب هو: العلم نوعان علم الأبدان وعلم الروح (العقل)، حيث تطرق ابن سماية في فصله الأول من الكتاب إلى تحديد الفرق بين الانسان والحيوان، من خلال الفروق بينهما في العقل والثوابت العقلية التي تحكم الإنسان، كما استعرض الفنون وأهميتها بالنسبة للإنسان وعلاقتها المتينة بالعقيدة، وذكر الشيخ أهمية التوكل على الله في تغذية ومنح الراحة النفسية للإنسان من الجانب الروحاني، حيث واصل الشيخ حديثه عن أهمية علم الفلسفة التي تبرهن على وجود الخالق، كما أشار الشيخ إلى الحكمة وتطبيقها على العقائد، ثم الفرق بين العقل والشعور وعدم دقة هذا الأخير إذ يبقى نسبي، كما تمكن من الربط بين تعاليم الدين الإسلامي وما توصلت إليه الفلسفة من أفكار وقواعد حينذاك، وفي مكان آخر ذكر ابن شنب أن ابن سماية قرأ بحثه عن نصوص أوردها من القرآن والحديث فتحدث على أن تاريخ الأبناء يؤكده التواتر ، بالإضافة إلى حديثه عن عديد المواضيع الأخرى مثل: تعدد الزوجات والحجاب عند المرأة المسلمة، وعن الطلاق والرّق والميراث[1].

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 278.

ليصل في ختام قراءته للفصل الأول من كتابه إلى فكرة أعلنها ابن سماية للمؤتمرين أنه لا غرض له من تأليف الكتاب سوى البحث عما يسعدّ الإنسان، ومعرفة أصله وشمائله، ومن شمائل الإنسان المسلم الصدق والإخلاص والمروءة والتواضع والعدل واحترام الجّار، وختم ابن سماية بحثه بقوله: " إن الإسلام يمكن تلخيصه في الثلاثية المعروفة حينذاك: الحرية والمساواة والأخوة ، كما يذكر الشيخ عبد الرحمان الجيلالي أنه من سوء الحظ أن هذا الكتاب لم يطبع في عهد جونار، ولا بعده رغم أن مؤلفه عاش طويلا بعد تقديمه علما أنه شارك في الحياة السياسية والثقافية[1].

المطلب الثاني: رسالة اهتزاز الأطواد والربى من مسألة تحليل الربا

وهي الرسالة التي رد فيها على من أباح الربا وعنونها "اهتزاز الأطواد والربى من مسألة تحليل الربا" ، طبعت سنة 1911 م بالجزائر(2)، إذ يقول ابن سماية في مقدمتها:" كنت طالعت في بعض الجرائد والأمر لله أن بعض من يشار إليه بالبنان في العلم من غير أن يذكر المشار إليه أحل القليل من الربا وحرم الكثير منه ، محتجا بقول الله تعالى وتنزه عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(3)"، لذلك فهذه الرسالة قد جاءت لتنبه بعض العلماء الذين كانوا يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله ، ويبدو أن الشيخ ابن سماية كان منزعجا من فتوى لأحد الشيوخ الذي يظهر في أنه أصدر حكم شرعي حول الربى لم يكن صحيحا[4].

---

(1) أبو عمران الشيخ وآخرون، المرجع السابق، ص 227.

(2)Achour Cheurfi, La classe politique algérienne de 1900 a nos jours, Casabah, 2001, p 97.

(3) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 130.

(4) مولود عويمر، المرجع السابق، ص 2.

لكن هذه الرسالة لم يبقى لها أثر ، ولحسن الحظ اطلع عليها تلميذه الشيخ عبد الرحمان الجيلالي[1] الذي علق ، بأنها غزيرة المادة في موضوعها، حيث استوعب ابن سماية فيها أصول الباب، وأحاط بفروعه من خلال شرح مستفيض للربى وأنواعها، حيث جاء فيها باستنتاجات وأحكام فقهية مركزة وصحيحة مستدلا بمختلف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومن خلال باب خص به أهل الذكر أي العلماء نجده قد طلب من خلالها علماء الإسلام تحمل مسؤوليتهم أمام هذا الموضوع الهام، موجها إليهم كلام ضمنه تحت عنوان "تعرض على أنظار العلماء الأعلام وتطلب تأدية ما في رقابهم من بيان الأحكام[2]".

ونتيجة تردي الأوضاع في مختلف الميادين للجزائريين خاصة على المستوى الثقافي والديني وانتشار الربى في اوساط المجتمع الجزائري، جاءت هذه الرسالة للتوضيح وتذكير كما أنها تعتبر وسيلة وركيزة من الوسائل التي اعتمدها الشيخ في نشاطه الإصلاحي، ويذكر بعض تلاميذه بأن له مؤلف آخر عن العقائد موجود عندهم حيث ناقش فيه الشبه التي يأتي بها الملحدون فردها عليهموالمعروف برسالة "التوحيد والرد على شبه المبطلين والملحدين[3]".

المطلب الثالث: رسالة الكنز المدفون والسر المكنون

طبعت بالجزائر سنة 1913 م، حيث نحا فيها الشيخ ابن سماية منحى صوفيا خاصا، وذلك لم يرق لبعض رجال الطرق، ولا سيما منهم التيجانية فحذروا في مجالسهم وكتبهم من مطالعتها وسعوا إلى حرق بعض النسخ الرسالة[4].

---

(1) مولود عويمر، المرجع السابق، ص 2.

(2) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص ص 278 ، 279.

(3) نفسه، ص 277.

(4) رابح لونيسي، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1889 م)، ج 2 ، دار المعرفة، الجزائر، 2010 ، ص 92.

كما كان لابن سماية قدرة على نظم الشعر والترسل فيه حيث اشتهر بإسهاماته الشعرية[1]، وذلك راجع لقوة لغته وبلاغته حيث أنه كان محبا لسجع في كتابته وحتى خطبه ودروسه، وكانت له مشاركات في فن الموسيقى العربية حيث كانت ذاكرته تحتوي على حظ وافر من الموشحات الجزائرية، إذ أنه كان يهوى كتابة الموشحات على وزن الألحان والموشحات الموسيقية الأندلسية فقد كان يحسن هذا الفن جيدا، وفيما يلي أنموذج من هذه الموشحات يقول في مطلعها:

يـــا روح ســـــار تعطـــــر مـــن نشـــر أهـــل الخيـام
بالله ســـــــر تتخـطـــــر وأحـمـــل إلـيهم سـلامـي
بلـــــــغ إلـــى أهـــل طيبـة منـــــي عـــظيم التـــــحية
قـــــف وقـــــفة مستـطيلة عـــن كـــــرم السجيـــة
وانشـــــق هنـــاك طـــيبة مـــن روضـــة عبـــقرية

وله عدة قصائد كتبها في مدح بعض العلماء، ولعل أهمها القصيد التي مدح فيها الشيخ محمد عبده وأرسلها إليه إلى القاهرة، حيث نشرت منها أبيات في مجلة المنار والتي سبق ذكرها.

إلى جانب مِؤلفاته كان ابن سماية مغرما بالعلم محبا للقراءة حيث وصفه تلاميذه بأنه جماعا للكتب القديمة والحديثة، مخطوطة ومطبوعة، حيث كان لا يسمع بكتاب إلا واشتراه أو يستنسخه أو يستعيره ليقرأه، وبذلك كانت له خزائن كثيرة تحتوي على آلاف الكتب النفيسة وقد ضاع أكثرها وكان لا يرد مستعير ولا يحسد أحدا على الاستفادة من مكتبته، فاغتنم[2]

[1] رابح لونيسي، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1889 م)، ج 2، دار المعرفة، الجزائر، 2010 ، ص 92.
[2] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 278.

بعض أشباه العلماء من المغرب هذه الخلة الحميدة فيه فاستعاروا منه الكثير من الكتب في آخر عمره وسرقوها وهربوها إلى باريس[1].

المبحث الثالث: الكتابة الصحفية

تعرف الصحافة بأنها فن تسجيل الوقائع اليومية بدقه وانتظام وذوق سليم مع الإستجابة لرغبات الرأي العام وتوجيهه[2] فهي أداة للتعبير عن حرية الفرد من خلال حقه في ممارسته حرياته الأساسية والمدنية وفي مقدمتها حقه في التعبير عن أفكاره وآرائه[3]، كما أنها نشاط اجتماعي يقوم على نشر المعلومات الاجتماعية، إن الصحافة بمفهومها العصري في أوربا خلال القرن 15 م، بعد اختراع يوحنا جوتنبرج الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة[4]، لتصبح في القرن التاسع عشر وسيلة اتصال بين السلطة والجماهير وبين الفئات المختلفة من المجتمع توزع المعلومات وتنشرها بين الناس وبعد أن شعر الناس بالحاجة الملحة إلى الأخبار المطبوعة التي تطلعهم على أهم الأحداث العالمية والمحلية[5].

أما في الوطن العربي فقد بدأت الصحافة فيه مع بداية دخول المطبعة، أي بعد أن عرفت، أوروبا الصحافة بحوالي قرنين من الزمان وكانت مصر أول بلد عربي يعرف[6]

---

(1) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 279.

(2) مروه اديب، الصحافة العربية نشأتها و تطورها، سجل حافل لتاريخ فن الصحافة العربية قديما و حديثا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1960، ص 17.

(3) فاروق أبو زيد، مدخل إلى علم الصحافة، ط 2، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998، ص 41.

(4) خليل صابات، جمال عبد المنعم، وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، ط 9، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2001، ص 58.

(5) زهير احدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر ،2012، ص 25.

(6) محمد منير حجاب، وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 2008 ، ص 73.

الصحافة[1] فعندما استولى الفرنسيون عليها أصدروا صحيفة "كورييه ديلجبت" بالفرنسية سنة 1798م، ثم أخذت معظم بلدان المغرب العربي تعرف الصحافة[2].

وحينما احتل الفرنسيون الجزائر أحظروا معهم مطبعة، وأصدروا أول صحيفة في الجزائر "ايستافيت دالجي" ومعناها بالعربية "الساعي الجزائري "، حيث صدر العدد الأول منها في 1 يوليو 1830م، ولم يصدر من هذه الصحيفة سوى عددين[3]، وأصدروا أيضا صحيفة أخرى في الجزائر تدعى " LE MONITEUR ALGERIEN " أي الرائد الجزائري التي ظهر عددها الأول في 27 يناير 1832م، وهي صحيفة رسمية تنشر قرارات الجيش المحتل وأوامره، وتصدر أسبوعية في أربع صفحات بالفرنسية والعربية ركيكة أحيانا[4].

لذلك فقد عمد المحتل على إخماد كل جذوة يمكنها أن توقد الحس الوطني وتذكيه، فإلى جانب مطاردة العلماء والمثقفين، وإغلاق المدارس والمعاهد التعليمية، وتشريد القائمين عليها وعمل على رصد حركة الصحافة ومراقبتها في حالة السماح بإصدارها، وبالمقابل شجع الصحف التي كانت أبواقا له تزكيه وتباركه. وكانت بعض تلك الصحف تصدر باللغة الفرنسية، وبعضها يصدر باللغة العربية، إلا أن توجهها استعماري، يشرف عليها الاحتلال وتحررها أقلام جزائرية[5] على رأسها الشيخ محمد كحول[6].

---

(1) محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص 73.

(2) خليل صابات، جمال عبد المنعم، المرجع السابق، ص 167.

(3) الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص ص 15، 16.

(4) خليل صابات، جمال عبد المنعم، المرجع نفسه، ص ص 362 ، 363.

(5) حياة عمامرة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية في عهد التأسيس إلى عهد التعددية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب، إشراف محمد عباس، قسم الادب العربي، جامعة أبى بكر بالقايد، تلمسان، 2013-2014، ص 53.

(6) محمود كحول: ولد بقسنطينة عام 1870 م، وتعلم بها وعمل في تهيئة تحرير المبشر، أصدر كوكب إفريقيا سنة 1907 م بدعم من الولاية العامة، أصدر التقويم الجزائري 1911، وعيين سنة 1919 إماما بمسجد سيدي محمد بالجزائر،

وقد سعت النخبة المثقفة الجزائرية إلى نشر أفكارها الإصلاحية عبر الصحافة العربية أمثال الشيخ عبد عبد الحليم بن سماية على الرغم من تجنبه النشر في بعض الجريدة الناطقة باسم الإدارة الفرنسية رغم صدورها باللغة العربية.

المطلب الأول: مقالاته في جريدة المغرب

كانت تصدر بالجزائر مرتين في الأسبوع، فقد صدر العدد الأول في أفريل 1903م، وصاحب امتيازها الفرنسي "بيار فونطانة"، اهتمت بالجانب الديني والاجتماعي، إلا أنها توقفت بعد سنة واحدة من صدورها عام 1904م، حيث أصدرت خلالها ستة وعشرون عددا. وكان يشارك فيها بعض الصحفيين الجزائريين[1]، وفئة من النخبة المثقفة الجزائرية أمثال عبد الحليم بن سماية الذي ساهم في نشر أفكاره الإصلاحية عبرها حيث نشر فيها سبعة مقالات حسب ما ذهب إليه الأستاذ مولود عويمر في مقالته ترجمة الشيخ عبد الحليم بن سماية[2]، خصصها لموضوع الجاذبية ما بين (1903 – 1904) وكانت معظم مواضيعها حول مشاكل الساعة وتكاسل أفراد المجتمع عن العمل وطلب العلم، ومكافحة والبدع والخرافات التي غرق فيها مجتمع مدينة الجزائر، كما كان ينادي إلى الإصلاح الاجتماعي، والتعليم واليقظة بعيدا عن المواضيع السياسية من أجل بناء مجتمع متمدن[3].

وعين مفتيا عام 1935 بمدينة الجزائر، وقع ضحية مؤامرة استعمارية وقتل في احدى شوارع القصبة في 2 أوت 1936. للمزيد انظر: الشيخ أبو عمران وآخرون، المرجع السابق، ص ص 199 ، 200.

[1] زهير احدادن وآخرون، الموسوعة الصحفية العربية (تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا)، ج 4، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،1995 ، ص 77.

[2] مولود عويمر، المرجع السابق، ص 3.

[3] عبد الحق خلفاوي، سمير سبيح، الشيخ عبد الحليم ابن سماية ودوره الإصلاحي (1866 – 1933 م)، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة أستاذ التعليم المتوسط في التاريخ والجغرافيا، إشراف الواعر صبرينة، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، 2012–2013، ص 32.

المطلب الثاني: مقالاته في جريدة كوكب افريقيا

جريدة أسبوعية حكومية، صدرت بالجزائر في ماي 1907م، ويديرها محمود كحول، حيث توقفت عن الصدور بعد نشوب الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، وكان يشارك فيها بعض الكتاب الجزائريين[1]، أمثال الشيخ عبد القادر المجاوي الذي نشر فيها اثنا عشرا مقالا، والشيخ عبد الحليم بن سماية الذي نشر فيها ما بين (1907 –1914) ثلاثة مقالات حول التصوف[2].

بالإضافة إلى نشر بعض المقالات في جريدة الإقدام[3] لصاحبها الأمير خالد[4] بمقالاته سنة 1930م، ولا ندري إن كتب في الجرائد التونسية، الوزير، والمشير، والحاضرة التي نشر فيها المثقفون الجزائريون مقالاتهم وأشعارهم خاصة في بدايات القرن العشرين قبل بروز جرائد عربية حرة بالجزائر، غير أن الأستاذ مولود عويمر يذكر بأن الشيخ عبد الحليم بن سماية وعد الشيخ محمد لخضر حسين (1873–1958) صديقه بالكتابة في مجلة هذا الأخير التي تسمى السعادة العظمى حينما دعاه هذا الأخير[5]

---

(1) زهير احدادن وآخرون، المرجع السابق، ص 77.

(2) مولود عويمر، المرجع السابق، ص 3.

(3) جريدة الإقدام: أسسها الأمير خالد سنة 1920م، للتعبير عن أفكاره والدفاع عن فكرة المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق السياسية، وصدرت باللغتين العربية والفرنسية وكانت جريدة عربية بلهجة وطنية، عبرت عن عواطف الجزائريين بدون وجل ولا اكتراث ودام صدورها إلى غاية سنة 1925 م بعد نفي الأمير خالد إلى الإسكندرية بمصر. للمزيد انظر: الهام ميلان، المرجع السابق، ص 37.

(4) الأمير خالد: هو خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر ولد سنة 1875م بدمشق بسوريا، وانتقل إلى الجزائر مع والده ثم دخل سنة 1893م الكلية العسكرية الفرنسية "سان سير"، وتخرج منها وتحصل على رتبة نقيب "كابتن" سنة 1907م، ومارس السياسة وكان من دعاة المساواة في الحقوق بين الجزائريين والفرنسيين. للمزيد انظر، بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن جزائر الإسلام، ط 2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1984، ص 9.

(5) مولود عويمر، نفسه، ص 3.

للمساهمة في هذه المجلة بمقالات وبحوث، كما أشار الأستاذ مولود عويمر في مقاله إلى أن جزء من كتاباته الصحفية تبقى مجهولة بسب استعماله اسم مستعار[1].

إن مساهمة الشيخ عبد عبد الحليم بن سماية حتى وإن كانت قليلة أو بسيطة عبر الصحافة ربما هذا راجع إلى انشغاله بالتدريس وحلقات الدرس إما في المدارس أو المسجد، والأهم من ذلك أن رسالته تكمن في الاتصال المباشر بالشعب عبر الدروس، ولكونه كان مراقبا من طرف الاستعمار خاصة بعد موقفه ضد قانون التجنيد الإجباري حيث اعتبرته السلطات الفرنسية موالي للدولة العثمانية.

المبحث الرابع: الجمعيات والنوادي

يعد موضوع الجمعيات والنوادي من المواضيع الهامة في بداية التحولات التي عرفها، المجتمع الجزائري بداية القرن العشرين، وتزامنت مع ظهور الجمعية الخلدونية 1896م والصادقية 1905م في تونس[2]، كما أن الجزائريون أرادوا اقتفاء الطريق الذي سارت عليه المجموعة الأوروبية بالاستفادة من التشريع الجديد الذي صدر في 1 جويلية 1901م وهو قانون صدر بفرنسا ينظم تأسيس الجمعيات الثقافية والخيرية، وأصبح ساري المفعول في مستعمراتها وفي مقدمتها الجزائر[3].

بالإضافة إلى هذا فإن بروز هذه النوادي والجمعيات في هذا الوقت بالذات يعود بدون شك إلى توافر بعض العوامل المناسبة حينذاك وأهمها وجود حاكم عام شارل جونار[4]

---

[1] مولود عويمر، المرجع السابق، ص 3.

[2] أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، الجزائر، 2004 ، ص 108.

[3] ربح تركي عمامرة، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاعلام والنشر والاشهار، الجزائر، 2001، ص 39.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 -1954)، ج 5، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998 ، ص 314.

(1901 –1911) على رأس الولاية العامة الذي أنتج سياسة أهلية ثقافية تمثلت في تشجيعه للخدمات الاجتماعية و الدراسات العربية، لذلك اندفع الشباب الجزائري لإنشاء الجمعيات والنوادي بمختلف أنواعها لملأ الفراغ الذي أحس به والذي كانت تعيشه المجموعة الجزائرية، ومن هنا جاء ميلاد العديد من الجمعيات الثقافية والخيرية والرياضية والنوادي التي كانت تنتشر في كل القطر الجزائري[1]، وتعد هذه الجمعيات والمنظمات والنوادي المساهمة في حركة الإحياء والإنعاش الثقافي في مدينة الجزائر.

المطلب الأول: محاضراته في الجمعية الراشدية

تأسست الجمعية الراشدية سنة 1894م كجمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية لمدينة الجزائر بتأييد من الفرنسيين العاطفين على الأهالي برئاسة السيد "سروري" مدير مدرسة أهلية بنفس المدينة، وكان للراشدية عدة فروع في أنحاء الوطن وكان فرع مدينة الجزائر يضم لوحده 251 عضوا في سنة[2] 1910م، ومن بين أعضائها البارزين الدكتور ابن بريهمات[3] وابن التهامي[4]، وكانت تصدر نشرية باللغتين العربية والفرنسية[5]،

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954) ، ص 314.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900 – 1930) ،ج 2، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 ، ص 162.

[3] ابن بريهمات: ولد الشيخ حسن بن ابراهيم بريهمات بالعاصمة وبها نشأ وتعلم، كلفته الجزائر بالبحث عن أسباب حوادث المجاعة والنكبات التي حدثت في 1868 م ، وكان بريهمات مكلف عن منطقة الجزائر، وقد تخرج على يده عدد كبير ممن حازوا على الترقي في مدرج الثقافة فنالوا مناصب الشرفية والعالية من القضاء والإمامة والتدريس والترجمة ، وكتب كتاب حول الاقتصاد والسياسة والفقه بمشاركة عبد القادر المجاوي طبع بالجزائر . للمزيد انظر: محمد حسن الفضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 3، دار هومة للنشر، الجزائر، 2000، ص 73.

[4] ابن التهامي: ولد أبو القاسم ابن التهامي في 20 سبتمبر 1873 بمدينة مستغانم تلقى تعليمه الابتدائي بها والثانوي بالجزائر العاصمة، تزعم حركة الشباب الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى، وكان من المطالبين بالإدماج، وهو من فدرالية المنتخبين الجزائريين، ومستشار عام لمستغانم. للمزيد انظر: بشير بلاح، المرجع السابق، ص 423.

[5] عبد النور خيثر وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830 – 1954 م)، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر، إصدارات وزارة المجاهدين، 2007، ص 238.

ويشير برنامجها إلى أن أهم أهدافها هو تقديم المساعدة للشباب الجزائري، وتوفير له الأجواء لتخلصه من حالة البأس تحت نير الاستعمار الفرنسي ونشر التعليم، والتوفيق بين المجموعتين الفرنسية والعربية كما ذكرها أحد أبرز أعضائها الفاعلين ابن حبليس قائلا: "كانت أهدافها تنظيم دروس في التعليم العام والمهني، وعقد محاضرات علمية وأدبية، وخلق جمعيات خيرية والدعوة إلى العمل، والأخوة والتعاون بل لمعالجة الأمراض الأخلاقية ومحاربة الأنانية، ومساعدة الجزائريين على إظهار مواهبهم الأدبية[1]".

ومما يلفت الانتباه هو مشاركة أفراد النخبة في المحاضرات التي نظمتها هذه الجمعية سنة 1907م أمثال الشيخ عبد القادر المجاوي الذي ألقى فيها محاضرة تحت عنوان "الحضارة العربية قبل وبعد الإسلام " باللغة العربية[2]، التي كانت أكثر استعمالا في هذه الجمعية على حساب الفرنسية رغم مرور عقود كثيرة من الاحتلال، مما ساعد الكثير من الجزائريين على تتبع وحضور هذه المحاضرات التي سلطت عليها العديد من الجرائد الأضواء وأصبحت تتابع نشاطاتها، ومن ذلك ما قامت به جريدة " كوكب إفريقيا " التي أعلنت مسبقا على محاضرة عبد الحليم بن سماية التي ستلقى في مقر الراشدية بعنوان "نظرة العرب في القراءة والكتابة[3] ".

وقد شارك أفراد النخبة المدرسية في المحاضرات هذه الجمعية بعديد العناوين فمثلا سنة 1907م كان هذا برنامجها في إحدى نشاطاتها[4]:

---

[1] بشير بلاح، المرجع نفسه، ص 320.

[2] أحمد صاري، المرجع السابق، ص 110.

[3] أحمد مريوش، محاضرات في تاريخ الجزائر (1900 – 1954) ،ج 2، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013 ، ص ص 40 ، 41.

[4] الهام ميلان ، المرجع السابق، ص 28.

عنوان المحاضرة	المحاضر	اللغة
تاريخ الأدب العربي	الشيخ عبد الحليم ابن سماية	العربية
الحضارة العربية قبل وبعد الإسلام	الشيخ عبد القادر المجاوي	العربية
التوفيق بين الاسلام والتقدم	محمد بن رحال	فرنسية
تاريخ الطب العربي	ابن بريهمات	فرنسية

الجدول(1): برنامج محاضرات الجمعية التوفيقية[1]

أما في فيما يخص الجمعية التوفيقية[2] ونادي صالح باي[3] فلم نعثر على محاضراته، إن كان قد ساهم في نشاطاتهما، غير أن بعض المراجع تشير إلى أن هذين الناديين، كان يساهم في تنشيط فعالياتهما كوكبة من المدرسين والعلماء أمثال عبد القادر المجاوي لذلك ترجح بعض المراجع أن يكون من المساهمين فيهما على غرار مساهمته في الجمعية الراشدية[4].

---

[1] الهام ميلان ، المرجع السابق، ص 28.

[2] الجمعية التوفيقية: أنشئت هذه الجمعية سنة 1908 ، ثم أعادة النخبة تنظيمها سنة 1911 والتي تهدف من خلال برنامجها إلى التوفيق بين الجزائريين والفرنسيين ، وبعد سنة واحدة كان لها مائة عضو وبناء على قانونها الأساسي، فإن هدفها كان جمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم و تطوير الأفكار العلمية والاجتماعية، وكان رئيسها الدكتور ابن التهامي أحد أبرز وجوه النخبة حيث ساهمت الجمعية التوفيقية في بث روح النهضة والتعريف بأفكار جديدة عن طريق تنظيم محاضرات ومطالعة الصحف وتبنت شعار "السعي نحو تحقيق تجمع للجزائريين الراغبين في الارتقاء الفكري والاجتماعي. للمزيد انظر: أحمد صاري، المرجع السابق، ص 110.

[3] نادي صالح باي: تأسس سنة 1907 من طرف السيد أريب رئيس مجلس عمالة قسنطينة حينذاك وهو من أهم نوادي الشرق الجزائري، كان شارل جونار الرئيس الشرفي للنادي، وكان لهذا النادي فروع كثيرة في مدن الجزائر، كما كانت له أهداف عديدة أبرزها نشر التعليم والتوفيق بين المجموعتين الفرنسية والجزائرية. للمزيد انظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900 – 1930)، ص 138.

[4] مولود عويمر، المرجع السابق، ص 3.

مما سبق نستنتج من مباحث الفصل الثاني أن الشيخ عبد الحليم بن سماية زاوج بين وسائل تقليدية ووسائل عصرية في مشروعه الإصلاحي الذي اتصف طول المدة بالهدوء في التنفيذ، ومن الوسائل التقليدية التي استغلها في تكوين جيل من العلماء قادوا النهضة الجزائرية الحديثة والحركة الإصلاحية نذكر المدارس و المساجد، أما الوسائل العصرية التي اتخذها هي الأخرى في دعم مشروعه الإصلاحي الصحافة والنوادي والجمعيات ولا ننسى تآليفه العلمية التي كان الغرض منها إصلاح المجتمع وإفادة المتعلمين وتسير العلم وتحبيبه إليهم، فقد حرر مقالات هادفة في الجرائد العاصمية كجريدة المغرب وكوكب إفريقيا، وألقى محاضرات نافعة في الجمعية الراشدية والتوفيقية ، ونظرا لشهرته ودوره فهو من العلماء الأجلاء ومن أبطال ولادتها ونهضتها الجديدة، إذا يعد الشيخ عبد الحليم ابن سماية جامعا بين ثنائية التقليد والتجديد فهو" محافظ مجدد " في آن واحد.

الفصل الثالث:

مواقفه واهتماماته الاصلاحية

المبحث الأول: القضايا التربوية

يُعد الشيخ عبد الحليم بن سماية من العلماء المستنيرين الذين لهم دور في تفتيق الأذهان، ومن الدعاة الذين نادوا من وقت مبكر إلى نبذ الركود وإلى اليقظة والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة، وقد آمن الشيخ عبد الحليم بن سماية بوجوب التشمير على ساعد الجّد، وبذل قصارى الجهد من أجل نهضة الجزائر وازدهارها في جميع الميادين، ولم يجد وسيلة أنجح لتحقيق ذلك أفضل من المبادرة إلى إصلاح أوضاع المجتمع الجزائري في المجال التربوي والديني بالإضافة إلى المجال الاجتماعي.

المطلب الأول: الحث على طلب العلم

يرى الشيخ بن سماية أن العالم الإسلامي محكوم عليه بالبقاء في دائرة التخلف والانحطاط مكبلا بأغلال الجهل والأمية إن لم يول عناية بالتعليم الجاد والمقرون بالعمل المتقن، حيث كان دائما يحلل واقع الناس الذين اتبعوا الشهوات والخلود إلى الراحة والسكون، فهم عن طلب العلم متقاعسين وعن العمل متكاسلين، ويرى الشيخ أن استقامة البشر مرتبط بالعلم، فكلما كان الفرد مصباحه منيرا على أفكاره كان عالما بماله وما عليه سالكا سبيل الهدى، ملتزما أخلاقيا، وكلما انطفأ مصباح العلم كان كمن يمشي في ظلمة بين الناس فلا يخلو أن يصطدم بحائط. لأن من الناس من يميل إلى الحضيض ومنهم عكس ذلك إذ يسعى لطلب العلم، وفي هذا يقول: " إن العقل بين قوتين جاذبتين إحداهما تجذبه إلى الأعلى والأخرى تجذبه إلى الأسفل، ومتى غلبت واحدة عليه استخدمته على قانونها[1] ".

يتفق ابن سماية مع المجاوي في أن إصلاح أحوال البشر واستقامتها إنما هو مرتبط بالعلم، فالإنسان يزداد إحساسه بالمسؤولية اتجاه الآخرين، ويغدو عارفا بواجباته وحقوقه[2]

---

[1] عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، جريدة المغرب، ع 4 ، 1903 ، ص 12.

[2] نفسه، ص 12.

حينما يعي ما يحصل عليه من معارف وفي هذا يقول الشيخ: " العلم نافع مطلقا، لأن المعلوم إذا كان نافعا فيطلب ويعمل به وإذا كان ضارا فيهجر ويفر منه...ومتى مال العقل إلى ما فيه منفعة، من جلب نفع أو دفع ضر إلا وهو سار في طريق السعادة والإصلاح[1]"، غير أن المجتمع الجزائري حينذاك كان عكس ما يصبوا إليه ابن سماية نتيجة الأوضاع المزرية التي كان يعيشها، ناهيك عن السياسة الفرنسية التي كانت من خلالها تسعى إلى تجهيل المجتمع الجزائري وطمس مقوماته.

و قد أولى الشيخ ابن سماية اهتماما كبيرا بالعلم، لذلك فقد نادى في دروسه وكتاباته إلى ضرورة التأكد والحرص على فضل العلم والحث على تحصيله ذكرا وأنثى[2] مستدلا بآيات قرآنية وأحاديث نبوية كقوله تعالى[3]﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ وقوله صل الله عليه وسلم[4]:(من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر).

كما حث ابن سماية أيضا على طلب العلم في كل مكان وزمان، وعلى الإنسان ألا يكتفي بما يملك من علم بل عليه تحصيل المزيد، استنادا للحكمة القائلة " اطلبوا العلم ولو بالصين"، وكذلك ضرورة تلقين العلم للأبناء وهم صغار لا في غاية الأهمية ويظهر ذلك في قوله[5] : " ألا وإن العقول لا تستنير ولا تكمل إلا بالعلم، ألا وإن العلم لا يحصل إلا

---

(1) عبد الحليم بن سماية، المرجع السابق، ع 1، 1903، ص11.

(2) عبد الحليم بن سماية، شرف العلم والتعلم، جريدة الإقدام، ع 8، 1930، ص 8

(3) القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية 9.

(4) حديث شريف، رواه أبو دواد والترميذي.

(5) عبد الحليم بن سماية، شرف العلم والتعلم، ص 7

بالتعليم، ثم التعلم في الصغر كالنقش في الحجر، فعلى العاقل أن يثقف أولاده بالتعليم..."، ومن هذا نجد أن الشيخ اولى اهتماما كبيرا للعناية بتربية الناشئة وسوف نرى هذا لاحقا.

واعتبر ابن سماية أن العلم من الفرائض التي يجب على كل إنسان أن يلتزم بها مستشهدا بقوله صلى الله عليه وسلم[1]: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)، وبما أن العلوم كثيرة ولا تحصى فعلى العاقل أن يأخذ بأحسنها وأنفعها حيث صنفها حسب أولها العلوم الدينية كتعلم وحفظ القرآن الكريم ثم الحديث النبوي الشريف، وبعد تعلم الإنسان لهذه العلوم يتجه إلى علوم اللغة العربية كالصرف والنحو وغيرها، ثم باقي العلوم الأخرى مثل الطب والرياضيات والفلسفة والجغرافيا، وغير ذلك من العلوم التي هي صفة كمال الإنسان.[2]

وبما أن هذه العلوم الحديثة كانت في تطور لدى الدول الأوربية، فقد كان ابن سماية يرى أنه ينبغي تعلم اللغات الأجنبية وعلى رأسها اللغة الفرنسية[3] بحكم الإستعمار الفرنسي للجزائر وذلك لتسهيل التخاطب معهم، وحتى يتمكن طالب العلم من الاطلاع والالمام بجميع التطورات الحاصلة في العلوم، ويذكر ابن سماية أنه على الفرد أن يتزود كل يوم بعلم يستفيد به في دنياه لأنه بفضل العلم تتطور كل الميادين مثل تطور الطب واكتشاف أدوية لعدة أمراض، وبفضل العلم تقدمت الدول[4].

---

(1) حديث شريف، رواه ابن ماجة.

(2) عبد الحليم بن سماية، شرف العلم والتعلم، ص 14.

(3) الفرنسية: كان ابن سماية يتحدث باللغة الفرنسية عند اللزوم، كما أنه كذلك كان يتكلم باللغة العبرية وكان يجادل أهلها بها ويقيم عليهم الحجة، فذات يوم قامت مناظرة بينه وبين حبر من أحبار اليهود حول إثبات تبشير التوراة بنبوة محمد– صلى الله عليه وسلم–، فأنكرها اليهود وأثناء مجادلته لليهودي قال عبارة وهي" وهمليخ هيا هو بمركبه توخح ارم"، فقال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أسرعت إلى كتابتها، ولما أتم مناظرته سألته عن معناها فأجاب أنها ألفاظ عبرانية تعبر عن ثبوت ذكر نبينا" محمد صلى الله عليه وسلم". للمزيد انظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص27 .

(4) عبد الحق خلفاوي ، سمير سبيح ، المرجع السابق، ص 28.

ودائما في مجال طلب العلم نجد أن ابن سماية صنف الناس ثلاثة أصناف حيث قال:" الأول من عقله معه وهو يجلب المنافع ويدفع المضار كإنسان مشتغل بطلب علم مثلا يجلب لعقله كمالا بالعلم ويدفع عنه مضرة الجهل، والثاني عقله معه وهو يجلب المضار ويدفع المنافع كإنسان معادي لطلب العلم محب للجهل والتخلي عن المعرفة...، والثالث واقف بينهما كحجر ملقي في اليم وهذا لا يمكن أن يوجد إلا في مسلوب العقل ...لكن الذي يهم هو الجرم بوجود قسمين الأوليين عاقل يجلب المنافع ويدفع المضار، وعاقل يفعل ضد ذلك."، ومن خلال هذا يرى ابن سماية من الناس علموا منفعة العلم يسعون وراءه ويفنون فيه أوقاتهم، ويرى كثيرا من الناس عكس ذلك رغم أن كلاهما فيهما القوة العاقلة[1].

المطلب الثاني: توجيهاته التربوية

وقف ابن سماية موقف الرجل المجدّد للمنهاج التعليمي التربوي في الجزائر المستعمرة حيث يقول عبد الرحمان الجيلالي في هذا: " عرف عنه أنه كان يدحض خصومه بالمناقشة والحوار العلمي بناصع البرهان وصحيح الاستدلال. ولا عجب في ذلك من رجل ثاقب الذهن، مثله رزق البراعة في البيان والاهتداء[2]."

على هذا الأساس، يظهر للعيان أن المنهج التعليمي لدى بن سماية، يقوم على قواعد علمية دقيقة تخضع إليه الوظيفة التعليمية الحديثة، حدّدها ابن سماية في سياق المناقشة والحوار والبرهنة، وهذا ما يعرف بمحدّدات المنهجين التحليلي والنقدي، ولما أسندت إليه مهمة التعليم، حاول ابن سماية ترجمة كفاءته العلمية وقدراته المنهجية في الواقع العملي[3]،

---

[1] خلفاوي عبد الحق، سبيح سمير، المرجع السابق، ص 28.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص ص 205 ، 206.

[3] محمد قنانش، الشيخ عبد الحليم في كتابات عبد الرحمان الجيلالي، ع 7 ، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة عين تموشنت، الجزائر، د ت، ص 265.

حيث استطاع أن يضع منهاجه في التعليم ويؤسس لمدرسة جزائرية تجمع بين العامل البشري والجانب التربوي البيداغوجي، محاولا في ذلك تنشئة جيل يتفاعل مع مقتضيات عصره ومتمسك بأصول هويته وحضارته[1].

أوصى ابن سماية الآباء على ضرورة العناية بتكوين الأبناء على قواعد سليمة من خلال غرس في نفوسهم القيم التربوية الصحيحة القائمة على الصدق والأمانة، ونهج منهج اللين والرفق والحب في صقل مواهبهم حتى تكون مكانة الآباء محترمة في نفوس أبنائهم ومحبوبة من جهة أخرى، كما أن مراقبة الآباء للأولاد منذ نشأتهم، ستظهر عليهم سمات الفهم، ومراتب التهذيب وكل هذا بسبب اللين والرفق بهم وإن عاقب الآباء الأبناء بخشونة فهذا التأنيب يجب أن يكون مقرونا بالسكينة، حتى يدرك الطفل سبب تعنيفه ويتدارك خطأه.

وحث ابن سماية الأولياء على تخصيص حصص من وقتهم لمجالسة الأبناء ومساعدتهم على تجاوز الصعوبات التي تعترضهم في الدراسة، فكان يقول على من يريد أن يثقف عقول أبنائه بالعلم ألا يعتمد على إرسالهم والاتكال على من يعلمهم فقط، بل يجعل لهم هو بنفسه حقا من الزمان. ويرى أيضا أن تبيان منافع وفوائد ووظائف الأشياء في الحياة للطفل كي يدرك قيمتها، ويوليها العناية كي يستفيد منها في حياته خير استفادة كتعليمه فائدة الصبر، وحكمة الأذن ومنفعة الأنف والأسنان وخاصة اللسان وأيضا منفعة اليدين والرجلين[2].

كما بين الشيخ ابن سماية أن للعب أهمية كبرى في حياة الأولاد، فحث الآباء على تخصيص جانب من أوقاتهم للعب مع أولادهم، والسماح لهم باللعب مع أقرانهم من الصبيان، لكن بشرط أن يكون هذا اللعب مفيدا ومسليا للطفل، ودعى الآباء والكبار إلى احترام[3]

---

[1] محمد قنانش، المرجع السابق، ص 265.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 276.

[3] عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، ص 11.

الأبناء والصبيان والإستماع إلى حديثهم وآرائهم حيث يقول: " وأن لأرباب العقول والأذهان للإصغاء حتى لكلام الصبيان، إذ ربما ينحصر في عقل الصبي ما لا يكون للكبير في الحسبان"[1].

أوصى ابن سماية الأهل على ضرورة الابتعاد عن كل أشكال الخرافة وسرد القصص الخيالية كقصص العفاريت والجان للأبناء التي لا تفيد شيئا في تربيتهم ودعا إلى ضرورة بناء ذهنية الناشئة على الكلام الطيب والصفات الحميدة حتى يتسنى لهم تكوين المسلم الصالح القادر على تحمل المسؤولية في الحياة.

ويؤكد أن التربية الصحيحة تنتج الجيل الصالح، الجيل المتخلق بآداب أبائه وأخلاقهم الكاملة عارفا واجباته اتجاه ربه ووالديه وأهله أما التربية السقيمة تنتج الجيل المنحرف الجاهل بخالقه وصاحب رسالته، عاقا لوالديه وأقاربه، ويرى ابن سماية أن التربية الصحيحة سر نهضة الأمة وسوء التربية هو عنوان انحطاطها وتخلفها[2].

ومن أجل بناء مجتمع متماسك حث ابن سماية على محاربة كل أشكال ومظاهر العنف اللفظي والسلوك الفض، والعمل على تجسيد قيم التسامح بين الناس في معاملاته، كما أكد على ضرورة النظر إلى المربي على أنه القدوة الحسنة للناشئة فإن صلح صلحت هذه الناشئة، وإن كان فاسدا فسدت لأن الصبي في صغره يميل إلى تقليد كل من حوله في أقوالهم وأفعالهم خاصة الوالدين، لذلك دعا الآباء بالتحلي بالصفات الحسنة والطيبة فيتعود الطفل على الصفات الممدوحة لأنها ترسخ بذاكرته حتى وإن كبر، كما دعا الآباء إلى نبذ الكسل والسكون إلى الراحة على أنفسهم، وحثهم على استعمال الصدق مع الطفل لئلا[3]

---

(1) عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، ص 11.

(2) نفسه، ص 12.

(3) خلفاوي عبد الحق، سبيح سمير، المرجع السابق، ص 31.

يتعود على الكذب وأن يعلموه النطق بأحسن الألفاظ فلا يتعود على الشتم والسب فالطفل مرآة تنطبع فيها أخلاق مربيه[1].

المطلب الثالث: الدفاع عن اللغة العربية

راح الرواد المصلحين ومنهم الشيخ عبد الحليم بن سماية في مطلع القرن العشرين يؤكدون دعوتهم على ضرورة العناية باللغة العربية أكثر فأكثر حيث تبين لهم أن خير ضامن للهوية الوطنية هو اللغة العربية، ومن ثم كانت الصيحات الوطنية كلها تنشد العمل على إحياء اللغة وبعثها من مرقدها وإعادة الاعتبار لها كلغة عبادات وعلم ومعاملات[2].

ودعوا كذلك إلى تعميم وتطوير اللغة العربية، وقد بلوروا قومية لغوية حقيقية واعتبروا اللغة العربية لغة القرآن، وحاولوا فرض ثقافة واحدة على كامل البلاد، فخطاباتهم كانت تتجاهل الثقافات الشعبية، وذلك للحفاظ على اللغة العربية في الأوساط المحلية، فاللغة العربية عندهم ليس أداة لنشر المعرفة فقط، بل هي دعامة الدين الذي يجب أن يكون له التأثير الأعمق على الأفكار؛ فتجديد اللغة العربية لا يهدف إلى وضعها في مستوى المزاحمة مع اللغة الفرنسية بل جعلها أداة أمام التأثيرات الأجنبية .

واعتقدوا أن الجزائر ستعود إلى الوجود لا عن طريق العمل السياسي، وإنما بواسطة الأفكار الإصلاحية والمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ودينهم، التي هي وحدها قادرة على منع احتواء الأهالي الجزائريين، واندماجهم في المجتمع الاستعماري[3]، وهذا لا

---

(1) خلفاوي عبد الحق، سبيح سمير، المرجع السابق، ص 31.

(2) عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر (1925 – 1954 م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 292.

(3) محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر نجيب عياد و صالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر،2006 ، ص ص 121 ، 122.

يعني أن ابن سماية كان ضد التفتح على الثقافة الفرنسية، فقد سبق وأن أشرنا أنه كان من دعاة تعلم اللغات الأجنبية من بينها الفرنسية للإطلاع على مختلف العلوم.

وقد كان ابن سماية من المدافعين عن اللغة العربية ومعتزين بها، لا يرضى أن ينال أحد منها، مستخدما لغة الحجة والإقناع في إفحام وتكميم أفواه المعادين لها، وفي سبيل ذلك لا يخاف لومة لائم وسطوة ظالم، حيث يذكر عبد الرحمان الجيلالي بأن عبد الحليم كان يتكلم بفصاحة تامة ويستعمل عبارات دقيقة ومنتقاة، وهذا راجع إلى غزارة مادته اللغوية التي تكونت فيه بسبب طبيعة تكوينه، ولا يتكلم أبدا العامية إلا في الحالات الاستثنائية ؛ إذ يستخدم العامية في النوادر والحكايات التي كان يرويها من أجل التسلية في المجلس العلمي فقط[1].

والملاحظ أن أغلب كتابات عبد الحليم بن سماية كانت بالغة العربية، على الرغم من أنه يجيّد اللغة الفرنسية، هذه الأخيرة التي أتخذها كوسيلة لمخاطبة المستعمر والإطلاع على الثقافة الغربية.

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 278.

المبحث الثاني: القضايا الدينية

المطلب الأول: مفهوم التوحيد والعقيدة

يعتبر الشيخ عبد الحليم ابن سماية بأن التوحيد عبارة عن علم له أصوله وضوابطه، كما له مجموعة من المواضيع التي يتناولها ويجب أن تكون لها علاقة به، فعلم التوحيد هو علم بالعقائد الدينية وبالأدلة الثابتة اليقينية والعقلية، بالأحكام الألوهية الربوبية.

إذ اتبع ابن سماية في تعريف للتوحيد والدعوة إليه منهج الشيخ محمد عبده، حيث أنه أول من درس رسالة التوحيد لمحمد عبده في مدارس الجزائر، وفي هذا يقول عمر راسم[1] :" إن الشيخ عبد الحليم بن سماية أول من درس رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده وأول موحد على الطريقة السلفية ".

لذلك فإن التوحيد أول ما يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة، وأول ما يدخل المرء به إلى الإسلام عند نطقه بالشهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا يجب على كل إنسان أن يعبد الله وحده دون غيره، وأن يتوجه إليه بالعبادة دون سواه، لأنه لا مثيل له، فهو خالق كل شيء وإليه مرجع كل شيء، المحي المميت، الحي الذي لا يموت، المنزه عن النقائص، لذلك يجب على كل مسلم أن يؤمن به ويعبده دون سواه ، فكلمة التوحيد" لا إله إلاّ الله "هي عنوان الإسلام وأساسه، فمن نطقها دخل الجنة ، ولكن القول هنا لا يعني مجرد النطق، بل الإقرار بالقلب، والعمل[2]

---

[1] عمر راسم: ولد بمدينة الجزائر سنة 1884م، من عائلة قادمة من بجاية، اشتغل بالمطبعة الرسمية سنة 1898 م، كتب عدة مقالات في جريدة المغرب والحق، كما أصدر جريدة ذو الفقار سنة 1913 ، ألقت السلطات الفرنسية القبض عليه ثم اطلقت سراحه في 1923 ، اعتزل الكتابة وتوجه إلى الرسم وفن المنمنمات للمزيد انظر: أبو عمران الشيخ وآخرون، المرجع السابق، ص 246.

[2] على ابن أبي العز الأذرعي، أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوي، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، د ت ، ص14 .

بمفهومها، والقبول بما تقتضيه بالقلب واللسان دون استكبار والانقياد لما دلت عليه، لذلك على كل إنسان أن يعمل بكلمة التوحيد بصدق وإخلاص لله سبحانه وتعالى، كالشيخ ابن سماية الذي كان فخورا بدينه، معتزا بإسلامه، متمكنا من مختلف العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير [1].

كما ركز ابن سماية في كتاباته خطبه ودروسه على ضرورة تصحيح العقيدة التي مستها الكثير من الشوائب في المجتمع الجزائري، فالعقيدة في نظره عبارة عن أمور علمية، لذلك يجب على كل مسلم أن يؤمن بها في قلبه، لأن الله تعالى أعلمه عن طريق كتبه ورسله.

وهذا دليل على أن العقيدة تقوم أساسا على الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى، لأنه عز وجل قادر على كل شيء فهو خالق السماوات والأرض[2]، عالم الغيب والشهادة فلا يعز عنه شيء لا في الأرض ولا في السماء، بالإضافة إلى أن الإيمان بالله تعالى بأنه وحده لا شبيه له ولا نظير كقوله تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[3]، لأن الله عز وجل منزه عن النقائص فهو متصف بصفات الكمال ولا يشبه أحد من مخلوقاته كما أن مخلوقاته لا تشبه في شيء من صفاته[4] ، كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.[5]

---

(1) محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 113.

(2) أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، دار الكتب السلفية، القاهرة ، د ت ، ص 15.

(3) القرآن الكريم، سورة الإخلاص، آية 1،2،3،4.

(4) عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، قصر الكتاب، الجزائر، د ت ، ص 229 .

(5) القرآن الكريم، سورة الشورى، آية 11.

فقد اهتم ابن سماية بعلم التوحيد في كتابته الصحفية، وجعله في بداية العلوم التي يجب على كل مسلم الإحاطة بها، نتيجة رؤيته لتلك الشوائب التي مست بالعقيدة الإسلامية، والتي أدت إلى دخول مجموعة من العباد في الشرك بالله، لذلك رأى ابن سماية أن الإصلاح الديني يقوم أساسا على إصلاح العقيدة وتمحيصها من الشوائب، كما نجده يحذر ويبن أصناف الناس الذين يستغلون الدين لتحقيق أغراضهم، حيث اعتبر أن الغش لا يخلوا منه شيء فهو يشمل كل الميادين، فتجد كثيرا من الأدنياء يتشبهون بالفضلاء والتظاهر بلباس الشرف[1].

وعلى الرغم من أن منهج الشيخ واضح من حيث التوحيد والعقيدة وكان من دعاة التمسك بتعاليم الدين الاسلامي، واتباع السلف شأنه في ذلك شأن محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، غير أن بعض الطرق الصوفية تنسب إليه تصوفه بل كأحد أبرز علماء الصوفية خاصة الطريقة التيجانية، ولم نلمس من خلال بحثنا في نشاطه الاصلاحي ومؤلفاته ومقالاته دعوة بما نسب إليه، غير أن هذا الموضوع يبقى محل بحث من أجل معرفة حقيقة ما ينسب إليه أو درع الشبهات على ابن سماية[2].

---

[1] خلفاوي عبد الحق، سبيح سمير، المرجع السابق، ص 26.

[2] أحمد زغب وآخرون، الحركة الصوفية في المغرب العربي، المعجم العالمي للفكر الإسلامي (التحولات الفكرية في العالم الإسلامي من القرن العاشر إلى الثاني عشر هجري)، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، 2014، ص 440.

المطلب الثاني: محاربة البدع والخرافات

قامت الحركة الإصلاحية في الجزائر على تعاليم الدين الاسلامي الذي اعتمد على الكتاب والسنة كمبدأ لتشريعاتها لذا جعلوها انطلاقة لحركتهم بسبب الاوضاع الدينية التى الت اليها الجزائر خاصة بعد انتشار البدع والخرافات ما أدى إلى نشاط بعض المصلحين نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين[1] الذين تألموا إلى ما أصبحت عليه الأوضاع الراهنة، وأقلق ضميرهم سوء الحياة الاجتماعية وكثرة الضلال والإنحراف، في تلك الأوضاع ظهرت أشكال مختلفة من المقاومة كل بحسب طاقته فمثلت تلك الجهود اللبنات الأولى للنهضة الإصلاحية رغم من قسوة الظروف المحيطة بهم فى إصلاح العقيدة الدينية.

لذلك نجد الشيخ عبد الحليم بن سماية قاد حملة شرسة ضد البدع والخرافات وكذلك الإلحاد وعلى كل ما جاء به الاستعمار الفرنسي في إطار نشر الحضارة ومحاولة إفساد الأخلاق حيث كان شجاع جدا في هذا الأمر لا يخش أحدا ويقول الحق في وجه إدارة الاستعمار على الرغم من أنها هي التي ولته، ولكن لم تستطع خلعه خوفا من ثورة الشعب عليها، كما انه كان يغير على العالم الإسلامي ويلاحظ ذلك من خلال إقباله على قراءة الجرائد الكبرى سواء كانت بالفرنسية أو العربية الواردة من كل الأقطار العربية، وكان يتمنى له النهوض والتحرر من الجهل والاستعمار بمختلف إشكاله[2].

كما اهتم ابن سماية من خلال دروسه وكتاباته على ضرورة محاربة البدع والخرافات التي كانت منتشرة في زمانه في الأوساط الشعبية[3]، والتي زادت من حدة الجهل والتخلف لذلك أصبح المجتمع الجزائري يتخبط فيها، وهذا ما أدى بالشيخ ابن سماية للمبادرة من

---

(1) محمد بن سمينة، صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الحديثة، دار المدني، الجزائر، 2004، ص 16.

(2) محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص 128،122.

(3) عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص 62.

أجل إصلاح المجتمع من الاعوجاج والبدع المنكرة التي تحمل الإنسان وزرا كبيرا وذنبا عظيما لفعلها.

إن المجتمع الجزائري في عصر ابن سماية كان غارقا في البدع[1]، كالتبرك بالأولياء الصالحين وتقديسهم وغيرها من المنكرات التي لا علاقة لها بالدين الإسلامي، والتي ابتدعها الجهلة حتى أصبحت جزء من الدين الإسلامي، ويعود سبب ذلك إلى الجهل الذي طغى على المجتمع الجزائري وسيطر عليه، لذلك فقد ساهمت العديد من الزوايا والطرق في ترسيخ هذه المعتقدات التي ساهمت في نشر الضلالات والدروشة والخرافات[2].

فقد تأثر ابن سماية بهذا الوضع وأثار انتباهه، فشعر بخطورته وسوء عواقبه لأنه يمس بالعقيدة ويؤدي إلى سوؤها، لذلك فقد تصدى ابن سماية لهذه البدع والخرافات بكل جهده وعلمه وفكره، فراح يعلن في دروسه وكتبه ووعظه التي اتخذها كسلاح ليحارب به هذه الأباطيل التي قيدت العقول ومنعتها من التفكير السليم، خاصة في مقالاته التي نشرها في جريد المغرب تحت عنوان القوة الجاذبية[3].

لقد كان ابن سماية متمسكا بالدين الاسلامي كل التمسك، يعتز به كل الاعتزاز ولا يرضى أن الدونية فيه، حيث كان يجادل المستشرقين المتعصبين والملحدين، ويقنعهم ويبن لهم مبادئ الاسلام، ويفحمهم بغزارته علمه، وقوة حججه، ويفضح أكاذيبهم.

واعتنى الشيخ ابن سماية بالدعوة إلى دين الحق وبالتربية الدينية في المدرسة، فدروسه كلها ممزوجة بالتوجيه وغرس الأخلاق الحسنة التي طالما يدعوا الناس لتحلي بها وغرسها[4]

---

(1) البدع: هي كل ما أحدث في الدين، ولم يأخذ من كتاب الله أو سنة الرسول الكريم، فهي ضلالة وكل ضلالة في النار. للمزيد انظر: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، مج 11، ط 3 ، 1971، ص 77.

(2) يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرن 19 م و 20 م، الثقافة، ع 63 ، 1981 ، ص 19.

(3) عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية ، ع 1 ، 1903 ، ص 11.

(4) محمد على دبوز، المرجع السابق، ص ص 110 ، 122.

في أبنائهم، كما كان ينقض في دروسه على البدع والخرافات وفساد الأخلاق والإلحاد[1]، حيث تصدى لها وحاربها وبذلك طهر النفوس من الخرافات، ودافع عن الدين وأبطل كيد المبشرين الذين يخالطون العامة لإفساد عقائدها الدينية، ومثال[2] عن ذلك أن الشيخ نعيم النعيمي حدث ابن سماية ؛ عن جماعة من الشباب في العاصمة سألوه عن تختمهم بالذهب فقال ابن سماية: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال[3]: (الذهب والحرير حلالان لنساء أمتي محرمان على ذكورها).

كما يذكر محمد الهادي الحسني في كتابه أن رجلا جاء إلى العالم الجليل ابن سماية وقال له: " يا فضيلة الشيخ لقد أذنبت كثيرا وليس في حياتي ذرة خير، ولكنني عازم على أن أستقيم على الطريق فهل يغفر الله لي؟... ، فبشره ابن سماية بأن الله وعد التائبين أن يبدل سيئاتهم حسنات وأن رحمة الله وسعت كل شيء"[4].

ويرجع الشيخ بأن أسباب انتشار هذه التصرفات والخرافات إلى عدة عوامل أهمها انتشار الجهل والتعصب وعدم الاستفادة من العلوم لإصلاح الأحوال بل إن مقاليد الأمور أصبحت بأيدي جهلاء يفتون بما لا يعلمون حيث خصص لهم باب في رسالة اهتزاز الأطواد والربى من مسألة تحليل الربا، ويعود سبب ذلك إلى الابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، كما تأسف على حالة الجزائريين التي أصبحوا عليها، فأضحوا من[5]

---

(1) محمد على دبوز، المرجع السابق، ص ص 110 ، 122.

(2) نفسه، ص 116.

(3) حديث شريف، رواه أبو داوود.

(4) محمد الهادي حسني، من وحي البصائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، بالجزائر، 2004، ص ص 69، 70.

(5) عبد الرحمان إبراهيم بن عقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة (1920/1936م)، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 66.

الضالين الذين عملوا على تدهور الأمة الجزائرية السائرة نحو الهلاك لأنها ابتعدت عن دينها وفقدت قيمها ومبادئها[1].

المبحث الثالث: القضايا الاجتماعية والاقتصادية

المطلب الأول: محاربة الآفات الاجتماعية

يرتبط ظهور النشاط الإصلاحي في الغالب، بحدوث أزمات اجتماعية عامة التي تغير المبادئ والقيم الأصلية في المجتمع فتنقله إلى حالة من الاضطراب والفوضى، فيتمثل النشاط الإصلاحي حينها عاملا للنهضة واليقظة، أي تقديم البديل الذي به يمكن أن تنقذ المجتمع من الأزمة، لذلك عرف المجتمع الجزائري انتشار غير مسبوق للآفات الاجتماعية وانحلال الأخلاق، وكان الوضع يحتم تدخل أفراد النخبة المصلحة، التي من بينهم عبد الحليم بن سماية، هذا الأخير تصدى لها بعلمه وقلمه، ونجد له في ذلك مقال حول الآفات الاجتماعية[2].

قام ابن سماية بمحاربة الآفات الاجتماعية التي عمل الاستعمار على تعميمها داخل القطر الجزائري، حيث انتقد في مقاله بعض السلوكيات الاجتماعية الغير المجدية مثل لعبة "الدامة"، التي كانت منتشرة في أوساط الجزائريين بسبب الفراغ القاتل الناتج عن البطالة والسياسة الفرنسية، وكذلك لعبة الورق " الكارطة " وتعاطي الحشيش[3].

---

(1) عبد الرحمان إبراهيم بن عقون، المرجع السابق، ص 67.

(2) جبار مليكة، جلول محجبي فتيحة، نظرة النخبة الإصلاحية الجزائرية للاستعمار الفرنسي من خلال كتابات روادها (1925-1931 م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص، الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، اشراف مراد قبال، قسم العلوم إنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة خميس مليانة، 2013-2014، ص 14.

(3) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 412.

كما حارب الشيخ آفة أخرى وهي ظاهرة القمار، والذي انتشر هو الآخر بشكل كبير في المجتمع الجزائري، فحث أول الأمر على مكافحته، مبينا أن الانسان يصرف وقته فيهمنشغلا عما ينفعه، لأن لعب القمار عواقبه وخيمة، حيث ينتهي بصاحبه إلى الهلاك المادي والأخلاقي، مذكرا على حرمتها شرعا وأنها من الكبائر كما أن مكسبها حرام، والواجب على المسلم التحري على الرزق الحلال لإطعام أبنائه مستدلا بعدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية[1].

وقد حذر ابن سماية منه لأضراره الاجتماعية، لأنه لا يفتك بالأفراد المقامرين بل يفتك بالعائلات التي تتعرض للعوز المادي فكثير من الرجال من يقامر بأمواله وعائلته وكرامته من أجل اللعب، فيهدم بيته ويشرد أسرته، وكل ما يكسبه الرجل من مال جراء ربحه في النهار كله، يضيعه في مدة قصيرة، فيحرم نفسه وعائلته وأولاده من ثمرة عمله.

كما عرف المجتمع الجزائري انتشار واسع لظاهرة شرب الخمر، فلم يغفل الشيخ هذا الجانب حيث حذر من هذه الآفة، وقد عدد الآثار المترتبة عن الخمر ومن هذه الآثار إصابة شاربها بالجنون، فيصير ضحكة للصبيان ومذمة عند العقلاء، كما أنها تتلف المال وتذهب العقول وتسبب العداوة بين الإخوان والأصدقاء، وهي أيضا تجعل شاربها يبتعد عن عبادة ربه ويمتنع عن الصلاة ، وهي مفتاح كل شر، لارتكاب المعاصي والمحرمات خاصة فاحشة الزنا، وإذا كان جزاء شارب الخمر في الدنيا هو الجلد ثمانين جلدة، فإن لم يضرب في الدنيا ضرب في الآخرة بسياط من نار على رؤوس الخلائق، ينظر إليه الآباء و الأصدقاء، ولذلك حذر الشيخ من أخطار ومضار الخمر على جسم الإنسان وعقله وخلقه[2].

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 412.

[2] نفسه، ص 413.

وحارب عبد الحليم أمراض اجتماعية أخرى كالرّبا، وذكر العواقب الوخيمة للمتعاملين بها، الذين ينشدون الربح السريع بلا جهد فتعرضهم للهلاك في أموالهم وأعراضهم، منبها معشر التجار إلى ضرورة أخذ كل الاحتياطات التي تجنبهم الوقوع في مخالب الربا، ودعاهم إلى التعلم من العلم مقدار ما يحتاجون إليه في تجارتهم لكيلا يأكلوا الربا، ونصحهم بأن يجتهدوا في الكيل والميزان محذرا إياهم من وعيد الله عز وجل وعقابه الشديد، وفي هذا ألف رسالة اهتزاز الأطوار والربى من مسألة تحليل الربا، التي ضمنها عنوان يحث فيه العلماء على تحمل المسؤولية في محاربة هذه الآفة وشرحها للعامة بشكل صحيح[1].

يبدو أن الشيخ ابن سماية لم يغفل أيضا الجانب الأخلاقي، فركز كثيرا على ضرورة تهذيب الأخلاق حيث هاجم فساد أخلاق المجتمع الجزائري والذي انتشرت به بعض الآفات الخطيرة كالكذب والخيانة والحسد والغيبة وغيرها من المفاسد التي أصبح الجزائريون يتعاملون بها مع بعضهم البعض، كما وجدت مظاهر الانحلال الخلقي المتعددة الأشكال طريقها إلى المجتمع الجزائري بسبب شيوع العادات السيئة الغريبة والتي تشجع الميوعة والخلاعة والمنافية للآداب الإسلامية، ويتحسر كثيرا على ما صارت عليه أخلاق الشباب الجزائري الذي خلع ثوب الحياء وجاهر بالفسق والفجور[2].

ومن المنكرات والعادات القبيحة التي حذر منها أيضا الإيماء والغمز واللمز، والتي يتسبب فيها غياب الوازع الديني من جهة، ومرض نفسي يستولي على الإنسان من جهة أخرى، فلا يرتاح إلا إذا همز الناس وتغامز عليهم، لذلك لم يدخر ابن سماية جهدا في محاربة هذه الآفات مستغلا مختلف المجالس العلمية والتربوية، والمنابر الصحفية، ودروس الوعظ والخطب في المساجد، مذكرا بوجوب العناية بالقيم التي تكفل الأمن والاستقرار[3]

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 413.

[2] موسى صاري، عبد الحليم بن سماية، دار ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 ، ص16 .

[3] خلفاوي عبد الحق، سبيح سمير، المرجع السابق، ص 30.

والوئام في البلاد، مستدلا على قوله بمظاهر الاضطرابات والثورات التي تجتاح كبريات المدن في البلدان المتقدمة لا شيئ سوى لأن أسس وقواعد هذه المدينة تقوم على الماديات أكثر عما تقوم على الجوانب الأخلاقية وفي ذلك يقول: " هذا المعنى العجيب لما لم يؤسس على أساس متين...كانت المدن الكثيرة محلا للثورات الداخلية أو متوقعة لها فنجد المدينة على كبرها على وشك الانفجار... ولهذا لم نرى من المدينة التي يطلبها البشر إلا غلبة قوي على ضعيف وسخرية غني بفقير، وتسخير متسلط لمتسلط عليه... فما العّلة في ذلك؟. العّلة في ذلك لمن سبرها لا يجدها إلا أمرا فريدا وهو عدم استحكام مكارم الأخلاق في القلوب[1]".

كما دعى إلى ضرورة تكريس قيم العدالة الاجتماعية، والعمل على التخفيف من حدة الفوارق المادية التي تؤدي إلى الصراع الطبقي بحيث تبرز صور وظواهر من الغناء الفاحش والفقر وفي هذا الصدد يقول: " فيا شهري ما يدفع النوع البشري إن عشت في بلد تجعلهم يسكنون القصور ويلتذون بمعانقة الحور لا يأكلون إلا الملهوف وله يشربون إلا المروق وتسعة أعشار لا يصل أحدهم إلى اللقمة إلا بأشد النكال والنقمة [2]".

المطلب الثاني: الحث على العمل ونبذ الكسل

لما أصبح المسلمون الجزائريون يعيشون في فقر مدّقع وجهل مطبقّ يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، وعرضة لكل الأمراض والأوبئة أدرك الشيخ ابن سماية عمق المأساة الجزائرية فحاول أن يجد العلاج لهذه الأوضاع المتردية ويخفف من وطأتها، وذلك من خلال تحسيس المسلمين الجزائريين بضرورة الخروج من واقعهم المزري الذي أصبحوا[3]

---

[1] خلفاوي عبد الحق، سبيح سمير، المرجع السابق، ص 30.

[2] نفسه، ص 33.

[3] عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، ع 2، 1903، ص 11.

عليه بسبب الاستعمار، فحث ابن سماية الجزائريين على تثمين العمل المنتج المثمر في كل الميادين، الصناعة، والتجارة والزارعة وترك الكسل والخمول جانبا والسعي لكسب القوت.

حيث دعا الانسان المسلم إلى ضرورة الاهتمام بالعمل ونبذ الكسل والإخلاص وطرحه جانبا، وعدم التعلل بالأسباب التي تدفع صاحبها إلى الابتعاد عن طلب الرزق، والجنوح للراحة في ذلك يقول: "وأناخ عليه العجز بكلكلة وترك الحركة لطلب معاشه، وربما لم يقم ليلا ولا نهارا من فراشه، فإذا قيل له احترف قال قد ضاعت الحرف، وإذا قيل له تاجر قال كسدت الأسواق، إذا أمعن النظر في الحال مثل هذا لا يحكم عليه إلا أنه رجل غلبت[1] على عقله جاذبة حب الراحة، واستحسن أن يلحق بنوع الجهاد الذي لا يتحرك..." وعليه يضيف ابن سماية قول ابن الوردي:

أطلب الرزق ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل.

ويكشف ابن سماية عن الخلل الموجود في تكوين شخصية الفرد المسلم، الذي صار فهمه قاصرا لعقيدة التوكل على الله فيقول:"... وربما زاد تغلغل أهل الكسل في تتبع شهوة الراحة وتوطيد دعائمها حتى يدعوهم ذلك الى مقاومة من يدعوهم الى الحركة والاكتساب بدعوى أنهم من المتوكلين، والتوكل مما أمر به الشرّع ومدح به، فيستنتج الفهم حينئذ أن الكسل كما يدعو على تعطيل الجسم عن الحركة، يستتبع العقل أيضا في تعطيل عن الإدراك"، وهنا يصحح ابن سماية هذه النظرة الخاطئة لحقيقة ومفهوم التوكل في الإسلام مبينا قيمة العمل، واقترانها بالتوكل على الله، وأنهما إذا اجتمعا كانت النتيجة أفضل وفي هذا الصدد قال: "...فإن الشرع لم يأمر مخلوقا بالكسل وترك العمل، بل حث على العمل غاية الحث وكفاك من حثه على العمل والاكتساب، إنه جعل الكسب والكد على العيال[2]

[1] عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، ع 2، 1903، ص 11.

[2] نفسه، ص 12.

من أشرف العبادات وليس أمره بالتوكل لأجل إبطال العمل بل لفرضهما معا في قرن واحد. لأن التوكل إذا قرن بالعمل زاد العامل في عمله نشاطا...".

ويدعو ابن سماية أبناء بلده إلى استغلال أوقاتهم في العمل والابتعاد عن الكسل، وينهاهم عن التفاني في العمل والركود وتبرير ذلك العجز بالقدر، لأن الله خلق الإنسان وخلق له أسباب الرزق التي سعى إليها في أقطار الأرض دون كسل أو ملل بل عليه أن يواصل العزم على العمل، ينبه ابن سماية أن توكل هو التوكل على الله سبحانه وتعالى، أما التواكل هو الاعتماد على الغير فمن فهم عكس ذلك فقد هدم الدين باسم الدين[1]، فمثل هذا الإنسان الذي فهم العكس غلبت عليه شهوة الراحة على عقله، وفي نفس الوقت يرى ابن سماية ان النفس عدوة الإنسان حيث قال: " ولا يوجد للإنسان عدو مثل نفسه، فإذا تعلم طرفا من العلوم جذبته الجاذبة السفلية إلى نوع آخر من الكسل[2]...".

لذلك نجد ابن سماية يرد على الذين يتحججون بعدم توفر مصادر الرزق من العمل، فيدعوهم إلى ممارسة مختلف الحرف كالزراعة، الصناعة والتجارة على أنها من السبل المهمة لتوفير عيشة الإنسان وتحقيق حاجياته في الحياة ملفتا نظر الإنسان إلى ضرورة الاهتمام بفقه المعاملات التجارية في إطار الشريعة الإسلامية، كما ركز أيضا على معرفة أصول التجارة وقوانينها، الذي يقتضي بالضرورة معرفة كل ما له صلة بأصول التجارة، وهذا يقتضي بالضرورة معرفة كل ما له صلة بعلم التجارة الذي تفوق فيه الأوروبيون.

مما لا شك فيه أن ابن سماية لم يغفل أيضا في معرض حديثه عن أبواب العمل وطرق كسب الإمارة، ويقصد بها اشتغال الناس في أي وظيفة كانت من الوظائف الدولية، وواجب على أصحاب هذه الوظائف المساواة بين المواطنين في الحقوق كتحقيق العدالة[3]

---

[1] عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، ع 4، 1903، ص 12.

[2] نفسه، ص 11.

[3] نفسه، ص 13.

في الحكم، وكذا العمل على تطوير دولهم، وهذه الوظائف متنوعة منها الدفاع بالسيف عن الوطن ومنها العمل على تطويره ورقيه بالعلم والقلم، ويحذر ابن سماية من اتخاذ هذه المناصب كوسيلة لكسب المال دون خدمة مصالح المواطن[1].

المطلب الثالث :الدعوة إلى تعليم المرأة

اقترنت مسألة تحرير المرأة في مشروع نخبة الإصلاح في القرن التاسع عشر بملاحظة أولئك الرواد من دور المرأة في المغرب، فاختلفت آراءهم حول قضايا المرأة وفي مقدمتها قضية السفر والتعليم والعمل وقد أثارت هذه القضايا جدلا كبرا مع مطلع القرن العشرين، لذا انبرت كتابات المفكرين العرب تعبر عن آرائهم وأفكارهم الإصلاحية بغية تجسيدها على أرض الواقع[2] ، وفي طليعة هؤلاء المفكرين نذكر رفاعة الطهطاوي الذي يعد من المفكرين الأوائل الذي أثاروا قضية المرأة[3] فألف كتاب" المرشد الأمين للبنات والبنين "والذي أكد فيه على ضرورة المساواة بين المرأة والرجل بحيث يكون لها ما لي الرجل من حقوق في العلم والعمل، فالظاهر إذا الدعوة إلى الاهتمام بتعليم المرأة كانت قضية مطروحة ومنذ وقت مبكر في المشرق العربي[4].

أما في الجزائر فإن الإمام المصلح محمد الكمال بن الخوجة [5]يعد رائد في هذا المجال فركز وهو في عنفوان الشباب على مسألة المرأة المسلمة وعطف على حالها

---

(1) عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، ع 4، 1903، ص 14.

(2) إيمان محمد علي نونو، دور زعماء الإصلاح اتجاه تحرير المرأة التونسية في القرن التاسع عشر، ع 9 ، مجلة كان التاريخية ، 2010 ، ص 31 .

(3) إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، ط2 ، المطبعة النموذجية، مصر، 1949 ، ص 39.

(4) نازك سابايارد، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، ط2 ، مكتبة نوفل، د ب ن،1992 ، ص 106.

(5) الشيخ محمد بن خوجة: (1865–1917) كان من المقربين للشيخ محمد عبده واهتم بالحياة الاجتماعية والأخلاقية، يدعو لمنح المرأة حقوقها في كتاب "الإكتراث في حقوق الإناث ". للمزيد انظر: الغوتي بن حمدان، محمد بن رمضان شاوش، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، مطبعة داود بريسكي، الجزائر، 2001 ، ص 563.

الوضيع وأراد أن يرفع عنها مظالم الرجل لها سواء كانت تلك المظالم عن جهل أو عن إرادة، فألف كتاب يهتم بحقوق المرأة سماه" الاكتراث في حقوق الإناث"، الذي نشره عام 1897م، مظهرا فيه مكانة المرأة في الإسلام بهدف إقناع الجزائريين بتعديل مواقفهم من المرأة وسلوكهم اتجاهها والقضاء على مظاهر الجاهلية التي تسيء إليها[1]، كما ناد ابن خوجة أيضا لتعليم المرأة القدر الذي يمكنها من القيام بواجباتها الشرعية وأن تلم ببعض الفنون التي تساعدها في أداء مهامها، وذلك اقتداء بالمرأة في المشرق العربي والتي تعلمت وأصبحت تنافس الرجل في عدت ميادين[2]، فدعوة هذا المصلح إذن سبقت في الواقع دعوة المجاوي وبعده ابن سماية لتعليم المرأة.

ونجد في تلك الحقبة تأثر عبد القادر المجاوي هو الآخر بالحالة المزرية التي كانت تحياها المرأة الجزائرية إبان الحقبة الاستعمارية، حيث كانت محرومة من أبسط الحقوق شأنها شأن أخوها الرجل فدعا إلى النهوض بها والأخذ بيدها لكي تلج أبواب المدارس فتأخذ نصيبها من التربية والمعارف، حتى تقدر على أداء وظيفتها في المجتمع على أكمل وجه، وبعيداعن كل المضايقات التي يمكن أن تحصر هذا التعليم المقدم للمرأة في إطار ضيق ومحدود، فتكون أضراره أكثر من منافعه.

وفي نفس الميدان والحقبة التي كان في عبد القادر المجاوي، نجد دعوة ابن سماية إلى تعليم المرأة تعليما وافيا ومتكاملا غير ناقص لأن التعليم الناقص لا يفيد ولا ثمرة ترجى من وراء ذلك، لذلك حذر ابن سماية من تعليمها تعليما ناقصا لأنها تساهم بقسط وافر في تربية الأبناء تربية معوجة ومنحرفة عن قواعد العلم ومنطق العقل الناضج والفطرة السليم[3]

---

[1] سعد الدين ابن أبي شنب، النهضة العربية بالجزائر من النصف الأول من القرن 14 هجري، ع 1، مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر، الجزائر، 1964 ، ص 53.

[2] محمد بن مصطفى ابن الخوجة، الاكتراث في حقوق الإناث، مطبعة فونتانة، الجزائر،1895 ، ص112 .

[3] عبد الحليم بن سماية، شرف العلم والتعلم، ع 8 ،1909، ص 9.

فتعلم أبناءها مالا يجب وتربيهم على قصص العفاريت والأساطير المكذوبة، وتعودهم على الشرك بالله أثناء الدعاء، ومن جهة أخرى تترك العناية الضرورية بأسرتها مهملة شؤون المنزل الذي يصير في حالة من الفوضى لا مبرر لها سوى اللامبالاة.

تساهم المرأة التي نالت حظا من العلوم والمعارف إلى حد كبير في بناء البيت السعيد الذي تكون فيه العلاقة بين الأفراد قائمة على الوئام والانسجام فتستفيد مما تلقته من تعليم في إسعاد زوجها، فتريح زوجها وتزيح عنه الهم، وبعض متاعب الحياة وتسعى إلى العناية أكثر بتربية أبناءها وإعدادهم إعدادا جيد للحياة وذلك بالوقوف على دروسهم الأولى وحثهم على النظافة وتعويدهم على الذهاب إلى المساجد ليتعودوا على الصلاة وتحذرهم من رفاق السوء، وتوضح لهم عاقبت من يخالطهم وتعلمهم كيفية النظافة ليعرفوا كيفية الوضوء ويتعودوا على ذلك[1].

ولكي يبين ابن سماية خطر جهل المرأة، يذهب إلى تعداد السلوكات المنافية لتعاليم الدين الإسلامي التي تقوم بها المرأة عن جهل، فالنساء الجاهلات يرمينا بالأموال للدجالين ولأضرحة الأولياء الصالحين، وهكذا فإن المرأة تنفق أموال زوجها أو أهلها في تلك البدع الفاسدة، فلو كانت المرة متعلمة متشبعة بروح الإسلام الصافية لعافت الخضوع لهذه الخزعبلات والحيل من الدجالين، ولحافظت على أموال أسرتها[2].

وقد بدأت الصحافة الجزائرية بالاهتمام بقضية تعليم المرأة، ومن أمثلة ذلك عمر بن قدور[3] الجزائري الذي تأثر كثيرا بفكر عبد القادر المجاوي وابن سماية، حيث اعتبر جهل المرأة الجزائرية خسارة للمجتمع الجزائري فبجهلها يضعف أمر الدين وينجح المبتدعون في

---

(1) عبد الحليم بن سماية، شرف العلم والتعلم، ع 8 ،1909، ص 9.

(2) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 415.

(3) عمر بن قدور: (1866–1932) مفكر وصحفي وشاعر، أسس مجلة الفاروق، كان كاتبا بليغا وشاعرا إحيائيا. للمزيد أنظر: عمر بن قينة، أعالم وأعمال في الفكر والثقافة والأدب، منشورات إتحاد الكتاب، دمشق، 2000 ، ص35.

نشر البدع، ويصبح أمر الإصلاح صعبا، فيقول في هذا: " لو قيض الله المسلمين أن يدرسوا حقائق الأسباب التي منعتهم من النهوض إلى تنمية حياتهم وحفظ خيرهم القومي من أدواء الاضمحلال لعثروا بجهل المرأة المسلمة بغرض عروة الجامعة كالجرذ ويقطع ظهر الملة كالسيف[1]"

المبحث الرابع: موقفه من التجنيد الإجباري

لقد عارض ابن سماية قانون التجنيد الإجباري معارضة شديدة، واعتبر الرضوخ له كفر بالله عز وجل وخروج عن الإسلام، وأمام هذا استدعته السلطات الفرنسية لسماع رأيه في الموضوع وعقد بذلك مجلس في دار البلدية بتاريخ 25 جويلية 1912 م حضره كبار الشخصيات الفرنسية وعدد كبير من الأعيان والأهالي، ولما تم الجمع دخل رئيس البلدية وأصبح يشرح في قانون التجنيد الإجباري فقال: " إن الحكومة الفرنسية رأت أن تحشر أبناء المسلمين المراهقين تحت لوائها تنفيذا لمشروع ميسيمي وزير الحربية، وإنها قد وجهت إلى الوالي العام في هذا الشأن أمرا تحثه فيه على استشارة المجالس البلدية في الأقطار الجزائرية في شأن تنفيذ هذا المشروع وجس نبض الرأي العام الإسلامي فيه لتكون الحكومة على بصيرة من أمرها"، ولما أتم رئيس البلدية كلامه تقدم الشيخ ابن سماية موجها كلامه إلى الحضور قائلا: " أيها الناس أتأذنون لي أن أتكلم بالنيابة عنكم وعن إذنكم، أم لا تأذنون فاسكت واصمت"، فأجاب الناس بلسان واحد نقبل فنهض مشيرا إلى الحضور من الجزائريين قائلا: " لو أنهم ارتضوا بالخدمة العسكرية للدولة الفرنسية فإنهم لا يكنون بذلك مسلمين، ولو أنهم يطمعون مع ذلك في نيل بعض الحرية ودعوى أن ذلك يدفع فرنسا إلى منحها[2]

---

[1] عمر بن قدور الجزائري، ع 38 ، جريدة الفاروق، 1913 ، ص 1.

[2] مريم علي تاقوبايت، ربيعة تعكرميت، نشاط النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين الشيخ عبد الحليم بن سماية انموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، إشراف أمين محرز، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016-2017، ص 77.

لهم مقابل تجنيدهم تكون الضربة القاضية على القومية الإسلامية والجنسية معا، إذ يقع بذلك اندماجهم في الأمة الفرنسية نهائيا"، فحدثت هناك ضجة وارتفعت أصوات بعض المستشرفين و المتفرنسين محاولين إسكات الشيخ، لكنه استطاع مواصلة كلامه مستدلا[1] على صحة كلامه في ما جاء في كتب الشريعة ونصوص القرآن والسنة، ولما أتم الشيخ كلامه صاح الحاضرون من أعيان وشيوخ أنهم موافقون تمام الموافقة على رفضهم لمشروع التجنيد الإجباري حتى ولو ضمن لهم الحقوق السياسية[2].

ولما تيقن من عزم فرنسا على تطبيق قانون التجنيد على الاهالي الجزائريين هم بمغادرة الجزائر والهجرة نحو المشرق العربي شأنه شأن الكثير من علماء الجزائر الذين هاجروا، حيث باع الشيخ عبد الحليم ابن سماية بيته الذي ورثه عن أبوه، وقد عرض كذلك أثاث منزله على السوق وودع جميع أصدقائه واستعد للرحيل؛ ولما سمع أهل الجزائر بذلك أسرعوا إلى الأعيان والوجهاء ليمنعوه من ذلك وتوسلوا إليه قائلين: " لقد هاجر الكثير من العلماء والشيوخ قبلك وإن هجرت أنت فإلى من تتركنا"، فتأثر بذلك الكلام وعدل عن موقفه[3].

كما كان للشيخ عبد الحليم بن سماية موقف آخر أثناء الحرب العالمية الأولى، ولما أصدرت فرنسا فتوى بمساعدة العلماء الموالين لها تجيز محاربة العثمانيين رفضها بشكل كامل قائلا: " لا يجوز محاربة العثمانيين فهم دولتنا[4] ".

---

[1] موسى صاري، المرجع السابق، ص11 .

[2] نفسه، ص 12.

[3] نفسه، ص 11.

[4] ربح عمامرة تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح الاسلامي والتربوي في الجزائر، وزارة المجاهدين ، الجزائر، 2009 ، ص ص 134 – 135.

ونتيجة لمواقفه السابقة فقد اعتبرته السلطات الفرنسية عدوا لها وولائه للدولة العثمانية، وبعد أن أصيب بالمرض العقلي نتيجة المضايقات واضطهاد السلطات الفرنسية له بسبب مواقفه[1]، وكنتيجة للمرض الذي تعرض له اصبح لا يشكل خطرا على السلطات الفرنسية، لكن ومع ذلك نجد له موقف وهو مريض تدل على أنه لم يفقد التزامه بقضيته رغم أنه فقد عقله، حيث يذكر أحمد توفيق المدني أنه حينما كان الشيخ راكبا جواده وأراد تجول في حديقة بور سعيد، فمنعه الشرطي وحينما لم يستجب أخذه إلى محافظ الشرطة الذي كان يعرفه، فأخبره المحافظ بأن المرور بالخيول ممنوع في المنتزه، فرد عليه ابن سماية: عجبا صبرنا على حصانكم موضوعا بساحتنا العمومية مائة سنة (يقصد تمثال الدوق دومال)، ولا تصبرون على حصاننا ربع ساعة " بعد أن ترجم العامة كلام الشيخ للمحافظ قال: "هذا كلام عدو عاقل لا كلام صديق مجنون[2]"

[1] مولد عويمر، صفحة من حياة الشيخ عبد الحليم ابن سماية، رابطة أدباء الشام، الجزائر، 2011/12/22، www.odabasham.net، بتاريخ، 2018/03/25 ، ص 1.

[2] بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ص 81.

وخلاصة القول من مباحث الفصل الثالث أن الشيخ ابن سماية أسهم مساهمة فعالة في معالجة مختلف القضايا التي كانت سائدة في المجتمع الجزائري، بسبب السياسة الاستعمارية المطبقة على الجزائريين في جميع المجالات، لذلك حاول إصلاح المجتمع بمعالجته لمختلف هذه القضايا، فقد نالت التربية والتعليم القسط الأوفر من اهتماماته لأنهما أساس تطور الأمم ورقيها أما فيما يخص الجانب الديني فقد نادى بالإصلاح في مجال العقيدة والعبادات، فدعا إلى محاربة البدع والخرافات ونجده قد تحمل مسؤوليته كعالم ومصلح ديني في هذا الجانب.

أما في الجانب الاجتماعي فنجده كغيره من المصلحين حارب مختلف الأمراض الاجتماعية التي انتشرت وسط الجزائريين كالخمر والربا والقمار الذي ينتهي بصاحبه إلى الهلاك المادي والأخلاقي، بالإضافة إلى معالجته لقضية هامة وهي قضية المرأة التي يبين من خلالها الدور الهام التي تلعبه في بناء الأسرة ودعا لتعليمها، كما لا ننسى أن ابن سماية دعا إلى الاهتمام بالمسائل الاقتصادية من خلال تثمين العمل في كل الميادين كالصناعة والزراعة والتجارة ودعا إلى تعليمها ومحاربة التواكل والتكاسل وحث على العمل ، أما التجارة فاعتبرها أساس لاكتساب طرق المعاش.

خاتمة

نخلص من خلال ما سبق ذكره في فصول دراستنا المتواضعة لموضوع قضايا الإصلاح عند الشيخ عبد الحليم بن سماية " 1866 – 1933م" إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات الهامة نذكرها في النقاط التالية:

1- إن السياسة الفرنسية المتشددة ما بين 1870 و1900 م وتأثير العوامل الخارجية التي كان يمر بها العالم الإسلامي كان لها دور كبير في تنشيط عناصر النخبة الجزائرية مع مطلع القرن العشرين.

2- اتسمت جهود الإصلاح نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 م عند رواد الإصلاح بطابع الفردية، فلم نسجل عملا جماعيا للشيخ عبد الحليم مع المصلحين الآخرين إلا من خلال نشاطات الجمعيات والنوادي، بالرغم من أن أهداف وغايات بن سماية وغيره من المصلحين كانت واحدة وقاسم مشترك بين الجميع.

3- يعتقد الكثير من أن النشاط الإصلاحي في الجزائر تعود بداياته إلى عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لكن في الحقيقة سبقته محاولات إصلاحية لنخب جزائرية أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20 م ومن هذه النخب نذكر عبد الحليم بن سماية.

4- شكلت الزيارة التاريخية لأحد أقطاب العالم العربي الإسلامي المصلح الكبير محمد عبده إلى مدينة الجزائر صيف1903 م لعشرة أيام كاملة ديناميكية حراك إصلاحي، خاصة وأن الجزائر كانت في حاجة لمكسب معنوي تشجيعي، والمعروف أن مدرسة المنار هي مدرسة الإمام" عبده" التي تركت بصماتها على الجيل الذي قاد الحركة الوطنية الجزائرية مطلع القرن العشرين.

5- استخدم الشيخ عبد الحليم بن سماية قنوات عديدة لتحقيق أهدافه الإصلاحية أهمها: التعليم في المساجد والمدارس، التأليف والصحافة، ومن هذا يعدّ جامع بين ثنائية الأصالة والمعاصرة فهو" محافظ مجدد "في آن واحد.

6- بذل ابن سماية مجهودات جبارة في الميدان الثقافي لنشر العلم في أوساط الجزائريين، فعمل على إحياء التراث العربي الإسلامي دون أن يعتريه الفتور والتخاذل والتقاعس

والتراجع، فأخذ ابن سماية التعليم أداة لتحقيق ذلك، حيث نادى الشيخ عبد الحليم إلى تربية النشء تربية صالحة لأنها تنتج الجيل الصالح الذي يتحمل مسؤولياته اتجاه وطنه، فالتربية في نظر بن سماية هي القاعدة الأساسية لبناء العمل الإصلاحي.

7- ركز الشيخ عبد الحليم في المجال الديني على تطهير الإسلام من الشوائب التي علقت به، فدعا إلى عقيدة التوحيد والعودة إلى منابعه الصحيحة المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وحارب البدع والخرافات التي انتشرت أوساط الجزائريين بسبب الطرق الفاسدة.

8- الميدان الاجتماعي ركز بن سماية جهوده على إصلاح المجتمع، لأنه رأى فيه العلاج لحال الجزائريين، فحاول تخليصه من الآفات التي انتشرت به كالسحر والشعوذة والقمار والكسل وغيرها من الأمراض الاجتماعية، ودعا إلى العمل لأنه السبيل لتوفير عيشة الإنسان وتحقيق حاجياته، كما دعا إلى التكافل بين طبقات المجتمع.

9- يبدو أن بن سماية في محاربته للآفات الاجتماعية كان واعظ ومحللا، غير أنه لم يحلل تحليلا عميقا للأسباب الحقيقية وراء انتشار هذه الآفات، بل يكشف الظاهر فقط، فهناك نقائص في تحليل الظاهرة والنتائج المترتبة عنها.

10- قضية المرأة لم تكن بالغائبة عن اهتمامات بن سماية، فدعا إلى المساواة بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات في إطار المبادئ الإسلامية وإتاحة الفرصة لتعليم المرأة وتكوينها مما يضمن لها ترتيب بيتها والقيام بواجباتها الدينية والدنيوية على أكمل وجه.

11- أما في الميدان السياسي فلم يكن الموقف السياسي لبن سماية متبلورا، لأنه كان حذرا في تعامله مع الإدارة الاستعمارية، فكان يتجنب الاصطدام بها، إذا استثنينا موقفه من التجنيد الاجباري الذي كان صريحا جدا، وكذلك موقفه من قتال الجزائريين في الحرب العالمية الأولى، وقد مارس التعليم والوعظ والإصلاح الهادئ فلم يتعرض للسجن أو النفي أو التوقيف رغم متابعة الرقابة الاستعمارية له، ولم يحمل إدارة الاحتلال مسؤولية الوضع

المتردي الذي آلت إليه البلاد والمجتمع الجزائري خاصة في قضية التعليم، بل إنه يحمل في مقالاته أفراد المجتمع التكاسل والخمول عن طلب العلم فقد نظر إلى الاحتلال الفرنسي نظرة تعايش وبناء مجتمع جزائري متطور في ظل الوجود الفرنسي من خلال الإستفادة من تطور هذا الأخير، لكن رغم ذلك فهو من الموظفين الرسميين القلائل لدى الإدارة الفرنسية الذين حاولوا استغلال منصبهم لخدمة أبناء وطنهم حاله في ذلك حال عبد القادر المجاوي.

12- وختاما لبحثنا هذا يمكن القول أن الشيخ عبد الحليم بن سماية يعدّ أبا الحركة الإصلاحية في الجزائر، فرغم النقائص التي شابت عمله الإصلاحي خاصة في مرحلة العطاء بعد أن تعرض للمرض العقلي الذي حال بينه وبين مواصلة عمله الإصلاحي إلا أنه بفضل جهوده وجهود غيره من علماء عصره، ظهرت الحركة الإصلاحية الحقيقية التي قادتها أم الجمعيات جمعية علماء المسلمين في الجزائر التي اتخذت من أعماله وأعمال معاصريه أرضية صلبة وقاعدة للانطلاق.

قائمة الملاحق

الملحق رقم(1): الشيخ عبد الحليم بن سماية[1]

[1] جيلالي صاري ، بروز النخبة الجزائرية (1850 – 1950م)، تر عمر المعرابي، وزارة المجاهدين الجزائر، 2010، ص 47.

الملحق رقم(2): صفحة من مجلة المنار [1]

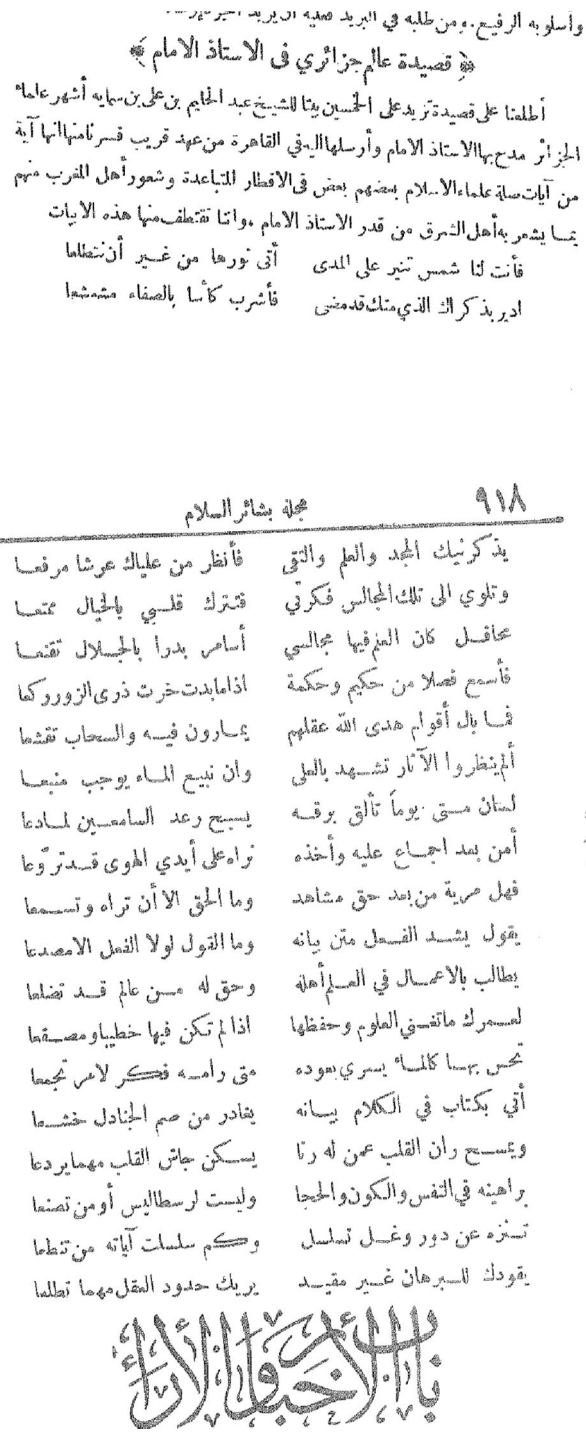

وأسلوبه الرفيع. ومن طلبه في البريد فعليه الدينار الصغير ...

﴿ قصيدة عالم جزائري في الاستاذ الامام ﴾

أطلعنا على قصيدة تزيد على الخمسين بيتا للشيخ عبد الحليم بن علي بن سماية أشهر علماء الجزائر مدح بها الاستاذ الامام وأرسلها اليه في القاهرة من عهد قريب فسرنا منها انها آية من آيات سلالة علماء الاسلام بعضهم بعض في الاقطار المتباعدة وشعور أهل المغرب منهم بما يشعر به أهل الشرق من قدر الاستاذ الامام. وانا نقتطف منها هذه الابيات

فأنت لنا شمس تنير على المدى ... أتى نورها من غير أن نتطلعا
ادير بذكراك الذي منك قد مضى ... فأشرب كأسا بالصفاء مشعشعا

يذكرنيك المجد والعلم والتقى ... فأنظر من عليائك عرشا مرفعا
وتلوي الى تلك المجالس فكرتي ... فتترك قلبي بالخيال معتعا
محافل كان العلم فيها مجالسي ... أسامر بدرا بالجلال تقنعا
فأسمع فصلا من حكيم وحكمة ... اذا ما بدت خرت ذرى الزور ركعا
فما بال أقوام هدى الله عقلهم ... يمارون فيه والسحاب تقشعا
أفينظروا الآثار تشهد بالعلى ... وان نبيع الماء يوجب منبعا
لسان متى يوماً تألق برقه ... يسبح رعد السامعين لسادعا
أمن بعد اجماع عليه وأخذه ... نراه على أيدي الهوى قد تزعزعا
فهل مرية من بعد حق مشاهد ... وما الحق الا أن تراه وتسمعا
يقول يشد الفضل متن بيانه ... وما القول لولا الفضل الا مصدعا
يطالب بالاعمال في العلم أهله ... وحق له من عالم قد تضلعا
لعمرك ما تقضي العلوم وحفظها ... اذا لم تكن فيها خطيبا ومصقعا
تحس بها كلما يسري بعوده ... متى رامه فكر لامر تجمعا
أتى بكتاب في الكلام بيانه ... يغادر من صم الجنادل خشعا
ويمسح ران القلب عمن له رنا ... يسكن جاش القلب مهما يردعا
براهينه في النفس والكون والحجا ... وليست لرسطاليس أو من تضلعا
تنزه عن دور وغل تسلسل ... وكم سلسلت آياته من تقطعا
يقودك للبرهان غير مقيد ... يريك حدود العقل مهما تطلعا

باب الأجوبة والآراء

[1] محمد رشيد رضا، قصيدة عالم جزائري في الأستاذ الإمام، مجلة المنار، مج 6 ، ج 23، 17 فيفري 1904م، ص ص 917 ، 918.

الملحق رقم(3):رسالة الشيخ محمد عبده إلى الشيخ عبد الحليم بن سماية في 30 جمادى 1321هـ -1903م

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الحليم بن سماية حفظه الله ...لا يزال يؤنسني مثال من علمك وفضلك ويعجبني رفيق رقيق من كمالك نجلك وما كان ذلك ليفارقني بعد أن صار بضعة مني، ولو كشفت لك من نفسك ما كشف لي منها لعلمت مقدار ما أتاك الله من نعمة العقل والأدب ولعرفت أنك ستكون أمام قومك تهديم أن شاء الله سبل الرشاد وتبصرهم بما يوفر عليهم الحظين: حظ المعاش وحظ المعاد، هذا هو أملي الذي أسأل الله تحقيقه، فخذ من الرسائل ما يبلغك بفضل الله غاية ما يرمي إليه استعدادك.

وأفضل ذلك فيما أرى استمرارك على مزاولة كلام البلغاء من أهل اللسان العربي، واتمام ما سبقت لك البداءة فيه من اللسان الفرنسي ثم دراسة أخلاق البشر وما يكون له أثر في تحويلها بتدقيق يجدر به لقب التحقيق. و من ذلك النظر في تاريخ الامة الاسلامية ،وتنقل الدين في أطواره ،وعلل ذلك وأسبابه، حتى يتيسر الحكم في أمراض النفوس، وحسن اختيار الدواء الذي يناسبها ثم التقدم إلى كل سريرة بما لا تشمئز منه، ولا تبادر بالنفرة منه وبدل الجهد في حمل الهمم على طلب العلم لتستنير به البصائر في العمل، وشحن العزائم على الجد في السعي والكد في كسب الرزق من وجود الحل، والانفاق منه في سبل المنافع وطرق الخير، وأن يكون ذلك كله دينا للداعي لا يفتر عنه حتى يكثر في الناس من هو جدير بالنسبة إلى رب الناس ،وذلك في ذكاء ولدنا الفاضل الشيخ محمد بن مصطفى الخوجة الكمال، وإخلاص صاحب الفضيلة الاستاذ مفتي الحنفية (الشيخ محمد بن أحمد بوقندورة).

ما يساعدك على ما تقصد من نفع العامة، ونصح الخاصة.

وإني وإن كنت على ثقة من كمال عقلك، ومعرفتك بما إليه حاجة المسلمين اليوم، فإني لا أجد مندوحة على التصريح بالتحذير من النظر في سياسة الحكومة أو غيرها من الحكومات ومن الكلام في ذلك، فإن هذا الموضوع كبير الخطر، قريب الضرر، وإنما الناس محتاجون إلى نور العلم، والصدق في العمل والجد في السعي، حتى يعيشوا في سلام وراحة مع من يجاورهم من أهل الامم الاخرى، ولا يتعلقوا من الوهم بحبل تتقطع في أيديهم متى جذبوها، فيسقطوا والعياذ بالله فيما لا منجاة منه[1].

[1] محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، دار المنار، القاهرة، 1931 ، ص ص 6 ، 7.

الملحق رقم(4): الشيخ عبد الحليم بن سماية الجزائري جالسا وإلى جانبه الأستاذ محمد عبده خلال زيارته للجزائر[1] سنة 1903.

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، ج 5 ، دار الأمة لنشر والطباعة ، الجزائر، 2004 ، ص 274.

الملحق رقم (5): مقاطع من قصيدة الشيخ عبد الحليم بن سماية يمدح فيها الشيخ محمد عبده

فأنـــــت لنا شمـس تنير المـــدى ... أتـــــــــى نورها من غير أن نتطلعا
أدير بذكراك الـــذي منك قد مضـــى ... فـــــــأشرب كأسا بالصفاء مشعشعا
يذكـــر فيك المـــجد والعلم والتـــقى ... فـــــانظـــر مـن عليـاك عرشا مرفعا
وتلـــوى إلى تلك المجالس فـــكرتي ... فتتـــرك قلـــبي بالخيـال ممتـــــعا
محافـــل كـــان العلم فيها مـــجالسي ... أســـامـــــــر بـــدرا بالـــجلال تقنعا
فاسمع فصـــلا من حـــكيم وحكمه ... إذا ما بـــدت خرت ذوي الزور ركـعا
فـــما بـــال أقوام هـــدى الله عقلهم ... يمارون فيـــه والســـحاب تقشـــعا
ألـــم ينظـروا الاثـــار تشهد بالعلى ... وان نبيع المـــــاء يـوجـب منبـــعا
لســـان متـى يومـا تـألق بـــرقه ... يسبـــــح رعـــد السامعين بما دعـا
يطالب بالأعمال فـــي العلم أهـــله ... وحـــــق لـــه من عالم قد تضلـــــعا
لعمرك ما تغنى العلـــوم وحفـظها ... اذا لم تكن فيـــها خطيبا ومسقـــــعا
تحس بـها كالماء يســـري بعـــوده ... متـــــى رامه فكـــر بأمر تجمـــــعا
أتى بكتـاب في الكـــلام بيانـــــه ... يغـــادر مـن صم الجنادل خشـــعا
براهينه فـي النفس والكون والحجى ... وليست لـــرسطاليس أو من تصنـــــعا
يقـــــودك للبرهـــان غير مقيد ... يريك حدود العـــقل مهـما تطلـــــعا[1]

[1] محمد رشيد رضا، قصيدة عالم جزائري في الأستاذ الإمام، مجلة المنار، مج 6 ، ج 23، 17 فيفري 1904، ص ص 917 ، 918.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

I /القرآن الكريم والحديث الشريف

II /الكتب

- الجيلالي (عبد الرحمن)، تاريخ الجزائر العام، ج 5، دار الأمة لنشر والطباعة، الجزائر،2004 .
- ـــــــــ (ـــــــــــ)، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- ابن الخوجة (محمد بن مصطفى)، الاكتراث في حقوق الإناث، مطبعة فونتانة، الجزائر،1895.
- دبوز (محمد علي)، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج 1، عالم المعرفة، الجزائر، 2003.
- ابن عقون (عبد الرحمان إبراهيم)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة (1920/1930م)، ج 1، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.
- رضا (محمد رشيد)، تاريخ الأستاذ محمد عبده، دار المنار، مصر،1931.
- فرحات (عباس)، ليل الاستعمار، ج 1، تر أبو بكر رحال، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- قداش (محفوظ)، جزائر الجزائريين (1830-1954 م)، تر محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2008.
- المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح، ج 2، د ر ط، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 م.
- ـــــــ (ـــــــــــ)، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.

III /الجرائد والمجلات:

أ/ الجرائد:

- ابـن سماية (عبد الحليم)، القوة الجاذبية، ع 1، 1903.
- ـــــــــ (ـــــــــ)، القوة الجاذبية، ع 2، جريدة المغرب 1903.
- ـــــــــ (ـــــــــ)، القوة الجاذبية، ع 4 ، جريدة المغرب 1903.
- ـــــــــ (ـــــــــ)، شرف العلم والتعلم، ع 8، جريدة الإقدام، 1930.
- ابن قدور (عمر)، ع 38 ، جريدة الفاروق، 1913.

ب/المجلات:

- الأفغاني (جمال الدين)، عبده (محمد)، العروة الوثقى، ط 3، دار الكتاب المغربي، لبنان، 1983.
- الجيلالي (عبد الرحمان)، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم ابن سماية السياسي والثقافي (1866-1933 م)، مجلة الأصالة، ع 13، الجزائر، 1973.
- رضـا (محمد رشيد)، آثار علمية وأدبية تفسير سورة العصر، مجلة المنار، مج 6، ج 23، 18 فيفري 1904.
- ـــــ (ـــــــــ)، قصيدة عالم جزائري في الأستاذ الإمام، مجلة المنار، مج 6، ج 23، 17 فيفري 1904م.
- ابن أبي شنب (سعد الدين)، النهضة العربية بالجزائر من النصف الأول من القرن 14هجري، ع 1، مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر ، الجزائر، 1964.

ثانيا: المراجع

أولا: بالعربية:

- احدادن (زهير)، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر،2012.
- آجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة، ط 2، تر عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- أديب (مروه)، الصحافة العربية نشأتها وتطورها سجل حافل لتاريخ فن الصحافة العربية قديما وحديثا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ،1960.
- الأشقر (عمر سليمان)، العقيدة في الله، قصر الكتاب، الجزائر، د ت.
- أمين (أحمد)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948.
- بريغان (أندري)، نوشي (أندري) وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر اسطنبولي رابح، منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- بلاح (بشير)، موجز تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1889)، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- بوصفصاف (عبد الكريم)، الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس أنموذجا، ج 1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2005.
- بوعزيز (يحي)، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية(1830-1954م)، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- جابر الجزائري (أبو بكر)، منهاج المسلم، دار الكتب السلفية، القاهرة ، د ت.
- الجندي (أنور)، أعلام وأصحاب أقلام، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، د ت.
- حجاب (محمد منير)، وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 2008.
- حربي (محمد)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر نجيب عياد و صالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر،2006 .

- حسني (محمد الهادي)، من وحي البصائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، بالجزائر، 2004.
- حلوش (عبد القادر)، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010.
- ابن حمدان (الغوتي)، شاوش (محمد بن رمضان)، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، مطبعة داود بريسكي، الجزائر، 2001.
- خيثر (عبد النور) وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830 – 1954م)، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر، إصدارات وزارة المجاهدين، 2007.
- دي طرازي (فيليب)، تاريخ الصحافة العربية، ج 5، د ن، بيروت، د ت.
- زوز (عبد الحميد)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1962م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
- أبو زيد (فاروق)، مدخل إلى علم الصحافة، ط 2، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998.
- سابايارد (نازك)، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، ط2، مكتبة نوفل، د ب ن، 1992.
- سعـــد الله (ابو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ، ط 2 ، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1998.
- ـــــــــ (ـــــــــ)، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954م)، ج 5، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.
- ـــــــــ (ـــــــــ)، الحركة الوطنية الجزائرية (1900 – 1930م)، ج2، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
- ابن سمينة (محمد)، صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الحديثة، دار المدني، الجزائر، 2004.
- سيف الإسلام (الزبير)، تاريخ الصحافة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

- صابات (خليل)، عبد المنعم (جمال)، وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، ط 9، مكتبة الأنجل والمصرية، القاهرة، 2001.
- الصادق (محمد الصالح)، أعلام من المغرب العربي، ج 1 ، ط 2 ، دار كراكدة، الجزائر، 2008.
- صاري (أحمد)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، الجزائر، 2004.
- صاري (جيلالي)، بروز النخبة المثقفة الجزائرية(1850- 1950م)، تر عمر المعرابي ، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2010.
- صاري (موسى)، عبد الحليم ابن سماية، دار ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر،2011.
- الطالبي (عمار)، آثار ابن باديس، ج 1، دار المكتبة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، الجزائر، 1986.
- عبده (إبراهيم)، أعلام الصحافة العربية، ط2 ، المطبعة النموذجية، مصر،1949 .
- ابن أبي العز الأذرعي (على)، أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوي، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، د ت .
- العسلي (بسام)، الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن جزائر الإسلام ، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1984.
- ـــــــ (ـــــــ)، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1983م.
- عمورة (عمار)، الجزائر بوابة التاريخ (الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962 م)، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- فوضيل (عبد الكريم)، رمضان (محمد صالح)، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، دار الأمة، الجزائر، 2010.
- ابن قينة (عمر)، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب، منشورات إتحاد الكتاب، دمشق، 2000.

- لونيسي (رابح)، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1889 م)، ج 2، دار المعرفة، الجزائر، 2010 .
- مريوش (أحمد)، محاضرات في تاريخ الجزائر (1900 - 1954)،ج 2، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013 .
- ناصر (محمد)، المقالة الصحفية الجزائرية من 1903 إلى 1931م، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- هلال(عمار)، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1995.
- وجدي (محمد فريد)، دائرة معارف القرن العشرين، مج 11، ط 3، 1971.
- الوناس (الحواس)، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1914-1927م)، دار الشطايبي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

ثانيا: بالفرنسية:

- Cheurfi Achour, La classe politique algérienne de 1900 a nos jours, Casabah, 2001.
- Collât Claude, les institutions de l'Algérie pendant la période colonial ،(1830-1962) ،O P U, ben- Aknoun, Alger, 1987.
- Martin Claude, histoire de l'Algérie Française, l'Algérie heureuse ،centre Français، Edition et de diffusion la font, S d.

ثالثا: المقالات والدوريات

I /المجلات العلمية:

- بوعزيز (يحي)، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرن 19 م و 20 م، ع 63، الثقافة، الجزائر،1981.
- علي نونو (إيمان محمد) دور زعماء الإصلاح اتجاه تحرير المرأة التونسية في القرن التاسع عشر، ع 9، مجلة كان التاريخية، 2010 .

- قنانش (محمد)، الشيخ عبد الحليم في كتابات عبد الرحمان الجيلالي، ع 7، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة عين تموشنت، د ت.
- مياسي (إبراهيم)، إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية (1900- 1914 م)، مجلة المصادر، ع 6 ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر، الجزائر، 2002.

II /المواقع الإلكترونية:

- صاري (جيلالي)، المصادر المتعلقة بالعلامة عبد الحليم بن سماية قليلة في المكتبات والجامعات الجزائرية، المسار العربي، مؤسسة الدار الوطنية للصحافة، الجزائر، 2013/06/03، www.elmassae-ar.com/ara/permalik، بتاريخ، 2018/04/14.
- عويمر (مولود)، صفحة من حياة الشيخ عبد الحليم ابن سماية، رابطة أدباء الشام، الجزائر، 2011/12/22، www.odabasham.net، بتاريخ، 2018/03/25.
- ـــــــ (ـــــــ)، ترجمة الشيخ عبد الحليم بن سماية الجزائري، المكتبة الجزائرية الشاملة، الجزائر، 2017/09/23، www.shamela-dz.net، بتاريخ، 20/ 2018/03.

رابعا: الرسائل والأطروحات الجامعية

I / أطروحات الدكتوراه:

- بن عدة (عبد المجيد)، الخطاب النهضوي في الجزائر (1925 – 1954 م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005.
- عمامرة (حياة)، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية في عهد التأسيس إلى عهد التعددية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب، إشراف محمد عباس، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2013- 2014.

II/ رسائل الماجستير

- بلعجال (أحمد)، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السيعد الزاهري، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارات البحر الابيض المتوسط، اشراف الجمعي خمري، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006.
- دريادي (حميدة)، الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة (1900-1914 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد المجيد بن عدة، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2011-2012.
- شريف (عبد الغفور)، موقف جمعية علماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954- 1956 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، إشراف أحسن بومالي، قسم علوم الاتصال، جامعة الجزائر، 2010-2011.
- بن عدة (عبد المجيد)، مظاهر الإصلاح الدين والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود رواد المصلحين، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف جمال قنان، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 1991-1992.

III / رسائل الماستر

- بديرينة (سهام)، النشاط الثقافي الأهلي في الجزائر ما بين (1900- 1918 م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إشراف لخميسي فريح، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014-2015.
- جبار (مليكة)، جلول محجبي (فتيحة)، نظرة النخبة الإصلاحية الجزائرية للاستعمار الفرنسي من خلال كتابات روادها (1925-1931 م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، إشراف مراد

قبال، قسم العلوم إنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة خميس مليانة، 2013-2014.

- خلفاوي (عبد الحق)، سبيح (سمير)، الشيخ عبد الحليم ابن سماية ودوره الاصلاحي (1866 – 1933 م)، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة أستاذ التعليم المتوسط في التاريخ والجغرافيا، إشراف، الواعر صبرينة، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، 2012-2013.
- قوادرية (قمير)، الجمعيات والنوادي الثقافية ودورها في الحركة الوطنية (1900-1939 م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إشراف زكرياء بن صغير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة بسكرة، 2014-2015.
- مريم علي تاقوبايت، ربيعة تعكرميت، نشاط النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين الشيخ عبد الحليم بن سماية انموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، إشراف أمين محرز، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016-2017.
- ميلان (الهام)، القضايا التعليمية والتربوية عند النخبة الاصلاحية الجزائرية (1880-1914 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف فكاير عبد القادر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة خميس مليانة، 2016-2017.

خامسا: المعاجم والمسوعات

- احدادن (زهير) و آخرون، الموسوعة الصحفية العربية (تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا)، ج 4 ، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،1995 .
- خدوسي (رابح)، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة، الجزائر، 2003.

- زغب (أحمد)، الحركة الصوفية في المغرب العربي، المعجم العالمي للفكر الإسلامي (التحولات الفكرية في العالم الإسلامي من القرن العاشر إلى الثاني عشر هجري)، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، 2014.
- صاري (موسى)، سلسلة أعلام الجزائر، دار ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر،2011.
- أبو عمران (الشيخ) وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، ط 2 ، مؤسسة الجزائر للطباعة، الجزائر، 1995.
- نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	/
الاهداء	/
قائمة المختصرات	/
المقدمة	01
الفصل الأول: شخصية عبد الحليم بن سماية والعوامل المؤثرة فيها	09
المبحث الأول: نسبه ومولده	10
المبحث الثاني: نشأته وتكوينه	11
المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في تكوينه	15
المطلب الأول: بيئته	15
المطلب الثاني: تواصل سياسة القهر الاستعماري	16
المطلب الثالث: تأثره بالنهضة المشرقية	23
المطلب الرابع: لقاءاته مع علماء عصره	26
المبحث الرابع: وفاته	29
الفصل الثاني: وسائل ومرتكزات الإصلاح عند عبد الحليم بن سماية	**33**
المبحث الأول: التربية والتعليم	34
المطلب الأول: التعليم المسجدي	35
المطلب الثاني: التعليم المدرسي	37
المبحث الثاني: مؤلفاته	40
المطلب الأول: كتاب فلسفة الاسلام	40
المطلب الثاني: رسالة اهتزاز الأطواد والربى من مسألة تحيرم الربا	42
المطلب الثالث: رسالة الكنز المدفون والسر المكنون	43
المبحث الثالث: الكتابة الصحفية	45
المطلب الأول: مقالاته في جريدة المغرب	47

المطلب الثاني: مقالاته في جريدة كوكب افريقا	48
المبحث الرابع: الجمعيات والنوادي	49
المطلب الأول: محاضراته في الجمعية الراشدية	50
الفصل الثالث: مواقفه واهتماماته الإصلاحية	**54**
المبحث الأول: القضايا التربوية	55
المطلب الأول: الحث على طلب العلم	55
المطلب الثاني: توجيهاته التربوية	58
المطلب الثالث: الدفاع عن اللغة العربية	61
المبحث الثاني: القضايا الدينية	63
المطلب الأول: مفهوم التوحيد والعقيدة	63
المطلب الثاني: محاربة البدع والخرافات	66
المبحث الثالث: القضايا الاجتماعية والاقتصادية	69
المطلب الأول: محاربة الآفات الاجتماعية	69
المطلب الثاني: الحث على العمل ونبذ الكسل	72
المطلب الثالث: الدعوة إلى تعليم المرأة	75
المبحث الرابع: موقفه من التجنيد الاجباري	78
الخاتمة	83
قائمة الملاحق	86
قائمة المصادر والمراجع	92
فهرس الموضوعات	103